مِن الظلمات إلى النور

أحدث . . . نظرية . . . لمعرفة

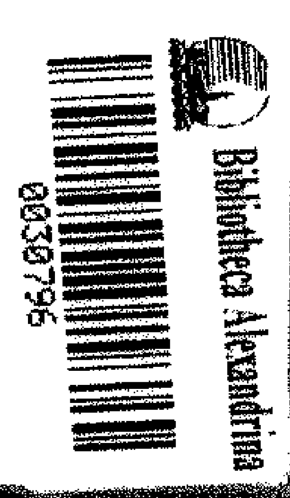
حقيقة . . . شخصية . . . الإنسان

محمود شلبي

ملتزم الطبع والنشر

مكتبة القاهرة الحديثة

٢١٩ شارع الجمهورية بالقاهرة



مِن الظلمات إلى النور

أحدث ... نظرية ... لمعرفة

حقيقة ... شخصية ... الإنسان

محمود شلبي

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة القاهرة الحديثة
١٦٩ [illegible]

دار الثقافة العربية للطباعة
ت ٩١٦٧٢٤ عابدين

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٧ / ١٩٦٩

الإهداء

اللهم . . .

منك . . .

وإليك . . .

محمود شلبي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحمد . . . الله . . . الذى لا إله إلا هو . . . على ما أعطى . . .

وأصلى . . . وأسلم . . . على الذى ناداه ربه « وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى . . . » .

وأشكره . . . سبحانه . . . أن آتانى . . . ذلك الفضل العميم . . .

وبعد . . .

أقدم إلى أهل ذلك العصر الذى نحن فيه . . .

نظرية . . . قد تكون أخطر نظرية . . . اكتشفت فى القرن العشرين . . .

نظرية عجيبة جداً . . .

أضاءت فى عقلى . . . فجأة . . .

على غير تقدير . . . ولا طلب . . . ولا تفكير ! ! !

وإنما كان شأنها . . . عجباً ! ! !

وقد ظننت بادئ الأمر . . . أنها مجرد خاطر . . .

إلا أنها بمرور الأيام . . . ازدادت عليّ إلحاحاً . . .

أن أخرجها إلى الناس . . .

فخفت أن تكون « نوراً » يريد الله انتشاره في الناس . . .

فإذا كتمته . . . عوقبت عقاباً أليماً . . .

أن كشف الله لي شيئاً من عجائب قدرته سبحانه في خلقه . . .

ثم منعت بثه في عقولهم . . . ليتفكروا ويتدبروا فيه . . .

وكنت كلما هممت بنشره . . . تراجعت . . . وقلت : ماذا

أقول لربي ، إذا تبين أني أذعت في الناس ما ليس حقاً ؟ !

فتذكرت أن العبرة بالنية . . .

وأن أمانة العلم ، تفرض عليّ أن أحدث الناس . . . بما أوتيت . . .

فإن كانت حقاً . . . فقد أديت الحق إلى الناس . . .

وإن كانت غير ذلك . . . فالله يغفر لي ما كان مني . . .

إلا أنى أشم فيها ريح الحق . . . لولا أن تفندون ! ! !

وها هى أحدث . . . وأخطر . . . نظرية . . . اكتشفت . . .

فى القرن العشرين . . .

نظرية تضع فى يد كل إنسان . . . مفتاحا . . . عجيبا . . .

إذا أداره . . . انفتحت له . . . فوراً . . . حقائق شخصيته . . .

وإنى أدعو الله تعالى . . . أن يجعل أفئـــــدة من الناس

تهوى إليها . . .

وأن يجعلها كلمة باقية . . . إلى يوم القيامة . . .

وأن يورثها من يشاء . . . من عباده . . .

وأن يجعلها مباركة . . . فى قراءتها . . . مباركة فى تفهمها . . .

مباركة فى زمانها . . . وما بعد زمانها ؟

القاهرة فى { ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

محمود شلبى

تنبيه ؟ !

هذا ذوق بذاق . . . وما هو بالعلم الذى تجده فى الكتب . . .

وإشعاع . . . وما هو بالإجماع . . . وإلهام . . . وما هو بالالزام . . .

وشىء انقذف فى قلبى . . . وما هو بالمنطق الذى خرج من عقلى . . .

فمن شاء أن يأخذ فليأخذ . . . ومن شاء أن يدع فليَدَع . . . فليس بخاسر شيئا . . .

وإنما هى أنوار . . . من أغوار . . .

بإذن الله تعالى . . . أسوقها إلى الناس . . .

ومن رحمة آتانيها . . . أدخل فيها . . .

لعلى أتعلم ما كنت أجهل . . . ويتعلم الناس معى . . . شيئا . . . كانوا يجهلون . . .

فإن أصبت حقا . . . فذلك فضل الله تعالى . . .

وإن أخطأت فهما . . . فذلك من ظلامى . . . وإظلامى . . .

مصدر الإشعاع

النص المقـــدس !
المكنون فيـــه !
النظرية الكبرى !

قال تعالى :

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

(آية ٢٥٧ من سورة البقرة)

هذا هو مصدر الإشعاع ! !

آية . . . واحدة . . . من كتابه . . . تبارك وتعالى . . .

يمر عليها المارون . . . ويقـــرؤها القارئون . . . وهم عنها معرضون ! !

ولقد كنت كذلك . . .

كم قرأتها . . . وكم رددتها . . . فلا أفهم منها . . . إلا أن الله تعالى يتولى إخراج الذين آمنوا به من ظلمات المعاصي إلى نور الطاعات . . .

وإلا أن الطاغوت . . . الذي هو الشيطان . . . يتولى إخراج الذين كفروا من نور الفطرة ، إلى ظلمات الكفر والمعاصي ! ! !

وهذا فهم كاف جداً . . .

حتى شاء الله تعالى . . . أن أتعلم منها بإذنه ما وراء ذلك . . .

فما هو هذا الذي وراء ذلك ؟

انه شيء خطير جداً . . . عظيم جداً . . . شيء قد يكون فتحاً جديدا في علوم البشر . . .

أو نصراً عزيزاً . . . في ميراث الحضارة على الإطلاق . . .

وانبثقت في قلبي . . . عينا جارية . . . فيها الأنوار . . . سارية . . .

تجرى منها الحكمة أنهاراً . . .

وتلألأت . . . ولاحت فى آفاق رحمته تعالى . . . من بعيد . . .

وهأنذا أقيدها فى ألفاظ . . .

وأسلسلها فى عبارة . . .

بعد أن كانت إشارة . . .

لعلها تكون عليه آية . . .

تدل على أنه تعالى حق . . .

وأن كتابه حق . . .

وأن رسوله . . . حق . . .

وله المثل الأعلى !

قبل أن ندخل ذلك الحرم الأقدس . . . ينبغى أن نطرح بعيداً كل الموروثات العقلية . . . أو العلميـة . . . أو الأسطورية . . . أو الوهمية . . . التى ترسبت فى عقولنا . . .

أى ندخل فى عملية تخلية . . . كما يحب أن يعبر أهل التصوف والصفاء . . .

هذه العملية تستوجب أن نسقط من تفكيرنا كل ما ملأ علينا تفكيرنا . . .

وأعنى به ما أخذناه وراثة . . . لا عن تفكر وتدبر . . .

وما أخذناه تقليداً . . . لا عن فهم وإدراك واجتهاد . . .

إنها عملية إسقاط . . . لما يملأ أفكارنا من أوهام . . .

ثم نأتى بعد ذلك إلى الآية . . . المقدســـــة . . . من كتابه تعالى . . .

وأن ندخل إليها أطهاراً . . . لا أقذاراً . . .

فالطهارة . . . هى السلك الروحى . . . الذى يمكن النور أن يسرى فى القلب . . .

والقذارة . . . هى الحجاب الطبيعى . . . الذى يقطع ذلك النور . . . ويوقف سريانه فى القلب . . .

وذلك تأدباً بقوله تعالى : « إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ . لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ » .
(سورة الواقعة ٧٧ ـ ٨٠)

وقوله تعالى فى وصف كتابه « إنه لقرآن كريم » . . . فيه إشارة إلى أن آيات هذا الكتاب كريمة . . . فرادى . . . كما هو كريم جملة . . .

وقوله « فى كتاب مكنون » . . . يشير إلى أن أنواره مكنونة . . . تحت ألفاظه . . .

وقوله « لا يمسه إلا المطهرون » . . . يشير إلى أن أنواره لا تمس . . . ولا تشتعل . . . إلا إذا كان القلب طاهراً من الذنوب طاهراً من الإشراك ، والكفر . . .

لماذا هذه الخاصية العزيزة من هذا الكتاب ؟

لأنه « تنزيلٌ مِن ربِّ العالَمين » . . .

لأنه شيء تنزّل من الله . . .

لأنه نور . . . والنور لا يسرى إلا إذا مس قلباً طاهراً . . .

حتى إذا ما تم لنا أمران . . .

الأول . . . التخلية . . . أو تفريغ المشحون فى عقولنا من أوهام . . . أو إسقاط الموروث فى رءوسنا من إظلام . . .

الثانى . . . التطهر . . . أو تفريغ القلب من كل ما سوى الله . . . وذلك قمة التطهر . . .

ويأتى من دونها . . . التطهر من الذنوب . . . والمعاصى . . .

إذا ما تم ذلك . . .

أمكن أن ندخل إلى حرم الآية المقدس . . .

فإذا ما وقفنا ببابها . . . ينبغى أن ننبه قلوبنا إلى أن كلامها كلام الله . . .

وإنما جاءتنا فى ألفاظ . . . لنستطيع الفهم عن الله . . .

وأن نتنبه سريعاً . . . إلى أن الله تعالى له المثل الأعلى . . .

أى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » . . . فهو سبحانه . . . وراء التصور . . . وخلاف ما ظن الخلائق . . . أجمعين . . .

وأنه تعالى إذا تكلم عن النور . . . فليس المراد نوراً مادياً . . . كنور الشمس والقمر والكهرباء . . .

وإنما هو نوره هو . . . وهو شىء تدركه القلوب . . .

كلا . . . استغفر الله . . . بل لا تدركه القلوب . . .

وإنما تذوقه القلوب . . .

كلا . . . بل لا تذوقه . . .

وإنما تحاول أن تتذوقه . . .

وهيهات . . .

وإذا تكلم عن الظلمات . . . لا يعنى الظلمات المادية . . . كظلام الليل . . . وظلام الحجرة إذا عم الظلام . . .

وإنما يعنى ظلمات البعد عن نوره . . .

وهذا شيء تتذوقه القلوب كذلك . . .

ومن هنا قدمت لهذا الأمر بقولى « هذا ذوق » . . .

مذاق قلبي . . . وليس بالمنطق العقلى . . .

على أبواب النظرية

نحن الآن على أبوابها . . .

قال عز من قائل . . . وجل ثناؤه . . . وتقدست أسماؤه . . .

« اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا . . . »

الله ؟ ! ! !

ما معناها ؟ !

لو اجتمعت عقول الخلق جميعاً . . . فكانت عقلا واحداً . . .
ما استطاعوا أن يحددوا لها معنى . . . أو يمسوا لها نوراً . . .

فما معناها إذن ؟ !

معنى « الله » . . . هو « الله » . . .

سيقولون هو عَلَم على الذات . . .

قلنا : نعم . . .

ولكن ما زدتمونا إلا ظلاماً ! ! !

فما معناها ؟ !

لست مستطيعاً أن تدرك لها معنى . . . إلا إذا رددتها بقلبك . . . ترديداً طويلا . . .

ثم أطلقت قلبك فى أنوارها . . .

لعلك بعد ذلك . . . يمسسك شىء أنت به مستطيع أن تفقه من أسرارها ولو شيئاً يسيراً . . .

الله ؟ ! ! !

الأول . . . الآخر . . .

الظاهر . . . الباطن . . .

الذى كان . . . ولم يكن شىء سواه . . . ثم خلق كل شىء . . . فقدره تقديراً . . .

الذى بإذنه تقوم السماوات والأرض . . . ومن فيهن . . .

الذى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون . . .

الله . . . الذى هذا بعض شأنه . . .

« وَلِىٌّ » . . . الذى يتولى أمر الذين آمنوا به . . .

« وَلِىُّ الَّذِينَ آمَنُوا » . . . ما معناها . . . هذه الأخرى ؟ !

من هم الذين آمنوا ؟

الذين صدقوا به سبحانه . . . بقلوبهم . . . وعقولهم . . .

وبواطنهم . . . وظواهرهم . . .

وبكل خليـــــة من خلاياهم . . . وبكل ذرة من ذرات وجودهم . . .

صدقوا أنه الله الذى لا إله إلا هو . . .

وأنه وحده هو الحق . . . المبين . . . الواضح . . .

وأن كل ما سواه هالك . . . إلا هو سبحانه

فتوجهوا إليه بقلوبهم . . .

وأرادوا وجهـــــه . . . وأسقطوا من قلوبهم الالتفـات إلى ما سواه . . .

هؤلاء ماذا يفعل الله بهم ؟

« يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » . . .

يتولى هو . . . عملية إخراجهم من الظلمات إلى النور . . .

والتعبير بصيغة « يُخْرِجُهُم » . . . تفيـد الاستمرار . . . والتجدد . . .

أى أنه تعـالى يوالى إخراجهم . . . ويوالى نقلهم من الظلمات إلى النور . . .

فما هى الظلمات ؟ !

وما هو النور ؟ !

الظلمات . . . هى منطقة البعد عن الله . . .

وها هنا تنبثق أنوار النظرية كلها ! ! ! !

فلو افترضنا أن الله تعالى — وله المثل الأعلى —

هو الأول الذى خلق الـكائنات جميعاً . . .

كان معنى هـذا أن كل الخلائق تتجه إليـه تعـالى طوعاً أو كرهاً . . .

فهو سبحانه الشيء الذى تتجه إليـه القلوب جميعاً . . . اتجاهاً فطريا . . .

ونحن إليه حنيناً طبيعياً . . . تفرضه نظرية حاجة المخلوق إلى من خلقه . . . والموجود إلى من أوجده . . .

وإلى هذا يشير قوله تعالى « وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ . . . »

(سورة البقرة ١٤٤)

حيثما كنتم . . . من الزمان أو المكان . . . أو الأحوال . . .

فولوا قلوبكم نحوه . . . تعالى . . .

وما الوجه . . . إلا إشارة إلى القلب . . .

وما البدن . . . إلا عبارة عن الروح . . . أى المظهر المادى للروح . . .

لأن التوجه إلى الله . . . لا يكون بالوجوه . . . وإنما بالقلوب . . .

ونعود إلى حيث بدأنا فنقول : النور . . . هو منطقة القرب من الله . . .

فما معنى هذا ؟

معناه ماديًا . . . كى تستطيع العقول أن تفهم . . .

ان شعاع الشمس كلما كان قريبًا من الشمس كان أقوى وأسطع . . .

وكلما كان أبعد . . . كان أضعف . . .

وبكل تنزيه . . . وبكل سمو فوق التوهم والتشبيه . . .

نقول أن نور الله سبحانه هو النور ... الذى ليس كمثله نور ...

وأن النور الذى تشير إليه الآية هو ما يجعل الله من نور فى قلوب من اقترب منه تعالى . . . وتقرب إليه سبحانه . . .

ولذلك قال « إِلَى النُّورِ » . . .

ولم يقل « الأنوار » . . . لأنه كله نوره سبحانه . . .

والآن . . .

ما معنى : الظلمات هى منطقة البعد عن الله ؟ !

معناه أن المخلوق كلما بعد عن الذى أوجده . . . ضعف فى قلبه ذلك النور . . . وما زال يخبو . . . ويخبو . . . حتى يتحول إلى ظلام تام . . .

ولذلك يقول : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ ، يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ » . . .

فمن هم الذين كفروا ؟

هم الذين أنكروا بقلوبهم ربهم الذى أوجدهم . . .

فاعتقدوا أنه غير موجود ! !

أو أنه موجود ولكنه لا شأن له بالخلق ! !

وهذا الكفر دركات . . .

أشدها إنكار وجود الله . . .

ثم يأتى من بعد ذلك . . . إنكار صفاته . . . أو أفعاله . . .

ثم يأتى من بعد ذلك . . . إنكار رسله وكتبه . . . واليوم الآخر . . . والقدر خيره وشره . . .

وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض . . .

متراكمة . . . متراكبة . . .

هؤلاء تعيش قلوبهم فى منطقة الظلمات . . .

ولذلك قال « إِلَى الظُّلُمَاتِ » . . .

لأنها ليست ظلمة واحدة . . .

فالكفر بالله . . . ظلمة شديدة جداً . . .

والكفر بصفات الله . . . ظلمة أخرى . . .

والكفر بأفعاله . . . ثالثة أخرى . . .

والكفر برسله . . . ظلمة . . .

والكفر بكتبه . . . ظلمة . . .

والكفر باليوم الآخر . . . ظلمة . . .

والكفر بالقدر خيره وشره . . . ظلمة . . .

وكل معصية لله . . . ظلمة هي الأخرى . . .

وكل صغير وكبير يصدر عن الذين كفروا ظلمة . . .

ظلمات بعضها فوق بعض . . .

وهذه هي منطقة البعد عن الله . . .

فإذا قال تعالى « وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ »

كان ذلك إشارة إلى أن من لم يؤمن بربه . . .

من أبى أن يجعل الله له ولياً يتولى أمره . . .

تولى الطاغوت . . . تولى الشيطان . . . تولت الشياطين أمره . . .

ودأبت . . . واستمرت . . . على إخراجه من النور إلى الظلمات . . .

ما زالت به تزحزحه من منطقة النور . . . حتى يدخل فى منطقة الظلمات . . .

وما زالت به تبعده عن ربه . . . حتى يهوى فى الظلمات . . .

فالذين آمنوا . . . يدخلون منطقة النور . . .

ويصعدون فيها . . . كل على قدر اجتهاده . . .

والذين كفروا يهوون إلى مناطق الظلمات ... وينحطون فيها ... كل على قدر ابتعاده . . .

فكلما كان الإنسان قريبا . . . كان قلبه فى منطقة القرب . . . فى منطقة النور . . .

وإذا ابتعد دخل حتما إلى منطقة البعد . . . منطقة الظلام . . .

والذين فى منطقة النور . . . هم الأحياء . . . وهم أهل الرحمة . . . وهم أهل العطاء . . . وهم أهل الرعاية . . . وهم أهل الألطاف . . . وهم أهل الأنس . . . وهم أهل الفضل . . . وهم أهل العلم . . . وهم أهل الجمال . . . وهم أهل الصفاء . . .

والذين فى منطقة الظلمات . . . هم الأموات . . . وهم أهل الغضب . . . وهم أهل الضلال . . . وهم أهل الحرمان . . . وهم أهل

السخط . . . وهم أهل الضنك . . . وهم أهل الجهل . . . وهم أهل الضيق . . . وهم أهل العذاب . . .

فالقرب من الله سعادة . . . والبعد عنه شقاء . . .

والقرب من الله . . . فى هـــــذه الحياة الدنيا . . . جنة . . . فيها كل أنواع السعادة . . .

والبعد عن الله . . . نار . . . فيها كل أنواع الشقاء والعذاب . . .

ولذلك يقول سبحانه « أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ »

أولئك الذين أنكرونى . . . أو أنكروا صفاتى . . .

الملازمون للنار . . . الخالدون فى شقائها وعذابها . . .

لأنهم قطعوا أنفسهم من المصدر الذى أوجدهم . . .

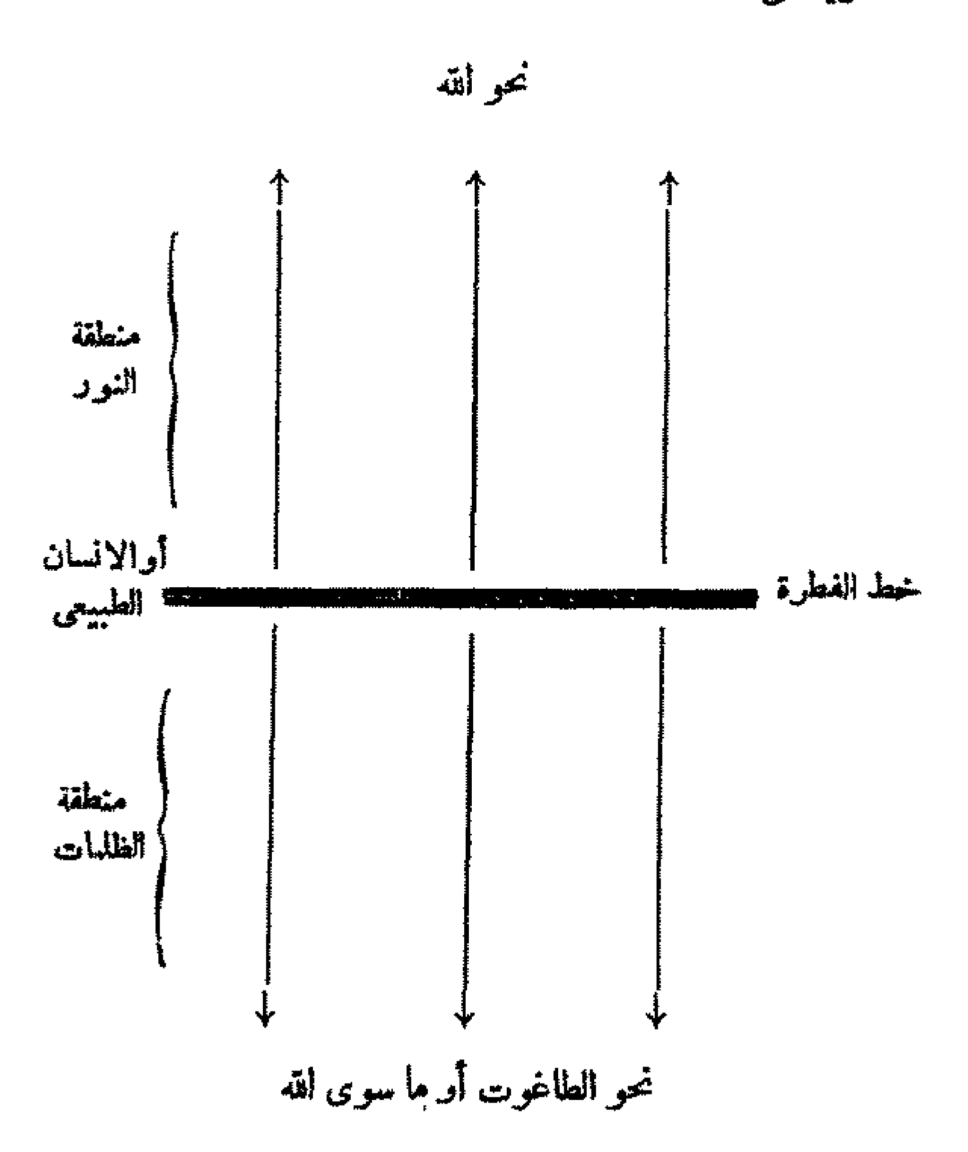
وابتعدوا عنه . . . وما زالوا يبتعدون . . . حتى أوغلوا فى الظلمات . . .

فهم . . . من كفرهم بربهم . . . فى جهنم . . .

وهم . . . بقطعهم أنفسهم من ربهم . . . موتى . . .

والآن ما هى النظرية ؟

النظرية هى :


نحو الله
منطقة
النور
أو الانسان
الطبيعى
خط الفطرة
منطقة
الظلمات
نحو الطاغوت أو ما سوى الله

فنقول : هناك أولا . . . الإنسان الذى على الفطرة . . .

وهو المشار إليه بقوله تعالى : « فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ الله . . . » .

(سورة الروم ٣٠)

أى الإنسان الطبيعى . . . الذى خلقه الله صالحاً لأن يعلو . . . أو يسفل . . .

لأن يقترب من ربه الذى خلقه . . .

أو يبتعد عنه . . .

لأن يدخل إلى النور . . .

أو ينزل إلى الظلام . . .

وهذا ما رمزنا إليه بخط الفطرة . . .

وما أشار إليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . . .

« عن أبى هريرة ، أنه كان يقول :

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِنْ مَوْلُودٍ ، إلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ

« فأبَوَاهُ يُهوِّدَانِهِ ، وَيُنصِّرَانِهِ ، ويُمجِّسَانِهِ

« كما تُنْتَجُ البَهِيمةُ بَهِيمةً جَمْعَاءَ

« هَلْ تُحِسُّونَ فيها مِن جَدْعَاءَ ؟

« ثم يقولُ أبو هُرَيْرَةَ : واقرؤا إن شِئْتُمْ «فِطْرَةَ اللهِ التى فَطَرَ الناسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ « الآية . »

(أخرجه مسلم فى صحيحه)

« كما تُنْتَجُ البهيمةُ بهيمةً » كما تلد البهيمة بهيمة

« جَمْعاء » مجتمعة الأعضاء ، سليمة من نقص ، لا توجد فيها جدعاء ، وهى مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء

ومعناه : أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء ، لا نقص فيها

وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها

كذلك كل إنسان يولد على الفطرة . . .

يولد على الصلاحية للتوجه إلى الله . . : الذى خلقه . . .

ثم يأتى دور المؤثرات . . . من أبويه . . . أو مجتمع . . . أو شهوات . . . أو شياطين . . . فتنحرف به إلى الاتجاه المضاد . . . لله . . .

قال تعالى : « واللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا . . . »

(سورة النحل ٧٨)

أى : خامة لا تدرى شيئاً . . . صالحة لهذا ولذاك . . .

فكل الناس ولدوا . . . هكذا على الفطرة . . .

ولكن هل هذه الفطرة شريرة بذاتها أم خيرة بذاتها ؟

الحق أنها تصلح لهذا وذاك . . .

وإلى هذا يشير قوله تعالى : « وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا . »

(سورة الشمس ٧ ـ ١٠)

فكل نفس سويت . . . خلقت . . . تم خلقها . . . ملهمة فجورها وتقواها . . . صالحة للخير والشر . . .

أى فيها ما تستطيع به الخير . . . وما تستطيع به الشر . . .

أى ما تستطيع به أن تعلو . . . وتقترب من ربها . . . وتدخل منطقة النور . . . وتصعد فيها حيث تشاء وتستطيع . . .

وما تستطيع به أن تهبط . . . وتبتعد عن ربها . . . وتدخل منطقة

الظلمات . . . وتهوى فيها حيث تشاء . . . وتستطيع .

وإلى هذا يشير قوله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا » أى ارتقى بها . . . وارتفع بها . . . وصعد بها إلى منطقة النور . . . ما استطاع . . .

وقوله « وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا » . . . من سفل بها . . . وانحط بها . . . إلى منطقة الظلمات . . . وابتعد عن ربه . . .

ولكن كيف يكون الإنسان الذى على الفطرة . . . صالحاً لهذا وذاك فى وقت واحد ؟

الأمر سهل . . . هو قوله تعالى « فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا »

وهذا الإلهام . . . هو ما أعطى الله للانسان من قلب يستطيع أن يرتفع به إلى أعلى . . .

وما ركب فيه من شهوات . . . أو غرائز . . . بلغة علم النفس . . . يستطيع أن يسفل بها إلى أسفل . . .

والإنسان هو هذا التجاذب بين قلبه . . . وغرائزه أو شهواته . . .

وهنا يتلألأ . . . نور . . . خطير . . .

هو : كيف يتم هذا التجاذب بين قلب الإنسان وشهواته ؟

يتم بتلك النظرية الخطيرة . . . التى تكشف الغطاء عن أخطر ناموس فى حياة الإنسان . . .

الناموس . . . الذى يعتبر العلم به هو الأساس الذى يحدد موقف الناس من ربهم . . .

والجهل به . . . يدفع النـــــاس إلى فوضى لا مثيل لها فى حياتهم . . .

هذا الناموس هو :

« إن الله تعالى خلق الإنسان . . . ومنحه إرادة حرة . . . تختار ما تشاء . . . إما إلى أعلى . . . وإما إلى أسفل . . . إما إلى القرب من الله . . . وإما إلى البعد عنه . . . إما إلى مناطق النور . . . وإما إلى مناطق الظلمات »

وبمعنى عام . . . الإنسان يولد ذا إرادة حرة . . . لها أن تختار ما تشاء . . .

ومن هنا قامت فكرة المسئولية . . . والتكليف . . .

وهو ما يسميه كتاب الله « الأمانة » فى قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا

الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً »

(سورة الأحزاب ٧٢)

ثم ما هو الهدف من حمل الإنسان لهذه الأمانة ؟!

الهدف مكنون فى الآية التى تليها مباشرة . . .

« ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات ، وكان الله غفوراً رحيماً . »

(سورة الأحزاب ٧٣)

فالأمانة فى عمومها هى الإرادة الحرة التى منحها الله لهذا الإنسان وكرمه بها . . .

وهو مايشير إليه قوله تعالى : « إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها . . . »

لأن السماوات والأرض والجبال لا إرادة لها . . . ولا حريه لها فى الاختيار . . .

إنهـا مسخرة ... تمضى أوتوماتيسكياً ... إلى ما أراد الله لها ...

فالسماوات والأرض والجبـال ... لا تستطيع أن تخرج من نواميسها الإلهية

قال تعالى « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا » ...

(سورة فصلت ١٢)

قوانين طبيعية تحكمها ...

وقال « ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ » .

(سوره فصلت ١١)

والخطاب هنا للسماوات والأرض. . . فهى طائعة. . . مطلقاً. . . لا خيار لها فى أمرها ...

وكذلك الجبال ...

كلها محكومة بقوانينها ... مسخرة بأمر ربها ... طائعة ... لا تستطيع العصيان ...

ولكن الإنسان كرمه الله بالإرادة الحرة . . . وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا . . . بهذه الإرادة . . .

فهو يستطيع أن يريد ما يشاء . . .

ويستطيع أن يتجه كيف يشاء . . .

ويستطيع أن يطيع ربه . . . أو يعصيه . . .

أن يكفر به . . . أو يؤمن به . . .

أن يرتفع . . . أو ينحط . . .

وهذا فى الحق أجمل ما أعطى الله للانسان . . .

وهذا لا يعنى أن الله لا سلطان له على الإنسان . . .

أو أن إرادة الله لا تأثير لها على إرادة الإنسان . . .

كلا . . . فالله ان شاء أن يعطل إرادة الإنسان فعل . . .

وإن شاء ان يقهره على أمر معين فعل . . .

ولكنه تعالى . . . تفضلا منه . . . لا يقهر إرادة الإنسان فى هذه الحياة . . .

وإنما يعطيه الفرصة . . . لينظر . . . كيف يختار . . . وكيف يكون اتجاهه ؟ !

فالانسان يستطيع أن يكون أرق المخلوقات . . .

ويستطيع أن يكون أحط المخلوقات . . .

فمنه كانت الرسل . . . فى أعلى مقامات الرقى . . . والقرب . . .

ومنه كان المجرمون العتاة . . . فى أحط دركات الانحطاط .

ومن هنا تنحل جميع مشكلات الناس . . . فى موقفهم من ربهم . . .

فهو لم يكلفهم . . . ولم يسألهم . . . إلا بعد أن منحهم الإرادة الحرة . . .

وحرية الإرادة هذه يشير إليها قوله تعالى « فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ . . . »

(سورة الكهف ٢٩)

وهو سبحانه لم يكلفه إلا بعد أن باشرت الشهوات فيه عملها . . .

وهو ما يعبر عنه بسن البلوغ فى الشريعة . . .

فتى بلغ أشده ، وتمت الرغبة الجنسية فى الإنسان . . . وتحركت فيه غرائزه . . .

وقع التجاذب بين غرائزه . . . وبين قلبه . . .

هذه تشده إلى أسفل . . . وهذا يريده إلى أعلى . . .

ثم كان من رحمته أن بعث إليه رسلا من جنسه . . . وهـذا معنى : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ . . . »

(سورة التوبة ١٢٨)

بشراً من جنسهم . . . وأنزل معهم كتباً بينت لهم ما يأتون وما يذرون . . .

ومن لم تبلغه الرسالة فلا شيء عليه . . .

قال تعالى : « مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا »

(سورة الإسراء ١٥)

وتأمل عجائب الآية ؟ !

من اهتدى . . . بمحض اختياره . . . فإنما يهتدي لنفسه . . .

ومن ضل . . . بمحض اختياره . . . فإنما يضـل عليها . . . عليه وحده مسئولية ضلاله . . .

ولا تزر وازرة وزر أخرى . . . ولا تحمل نفس حمل نفس أخرى . . .

ولا تحمل نفس مسئولية نفس أخرى . . .

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . . . ومستحيل أن نعذب أحداً . . . حتى نبعث إليه رسولا . . . وتبلغه رسالة ذلك الرسول !!!

فمن شروط التكليف أولا وقبل كل شيء : الإرادة الحرة . . .

وهذا ما منحه الله لكل إنسان . . .

فلو فرض وتعطلت هذه الإرادة . . . أو أرغمت على التعطل . . . وهو ما يسمى في الشريعة بالإكراه . . . سقط التكليف فوراً . . .

ولذلك أسقط الله العقاب عمن أكره على الكفر . . . لأن إرادته هنا ليست حرة . . .

قال تعالى : « مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَـكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ »

(سورة النحل ١٠٦)

إلا مَن أُكرِهَ ؟ !

من أرغم على الكفر . . . وقلبه مطمئن بالإيمان . . .
فلا شيء عليه . . .

لأن إرادته هنا تعطلت . . . وما زال قلبه متجهاً إلى الله . . .
رغم إكراهه الظاهر . . .

وهذه الإرادة هي مدار الأمر كله . . .

وهي في الإنسان الطبيعي حرة مائة في المائة . . .

وأي انتقاص منها في الإنسان . . . يوضع في الاعتبار
عند الله . . .

ولذلك يقول سبحانه : « فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ . . . »
(سورة التغابن ١٦)

ويقول سبحانه : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . . . »

(سورة البقرة ٢٨٦)

وقال : « لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . . . »
(سورة الأنعام ١٥٢)

وقال : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا . . . »
(سورة الطلاق ٧)

وما آتاها . . . هنا . . . يشير إلى ما آتاها من إرادة حرة . . .

وإذا سلبت هذه الإرادة . . . سقط التكليف فوراً . . .

ولذلك اعتبر الشارع لغو اليمين باطلا . . . لأنه لا يراد . . .

قال تعالى : « . . . وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيمًا . »

(سورة الأحزاب ٥

أى ما أرادت . . .

أما ما لم تريدوه . . . ما كان مجرد نطقاً باللسان . . .. فلا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم . . .

وهذه الإرادة هى أساس القبول والرفض عند الله . . .

قال تعالى « . . . يُرِيدُونَ وَجْهَهُ . . . »

(سورة الكهف ٢٨).

وتأمل الآية بتمامها . . . تدرك كثيراً من هذه المعانى :

« وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا . »

(سورة الكهف ٢٨)

هناك قوم . . . يريدون وجهه . . . قلوبهم تتجه إليه تعالى . . . إرادتهم تريد ذلك . . .

وهناك قوم . . . يريدون زينة الحياة الدنيا . . . هؤلاء قلوبهم غافلة . . . يتبعون هواهم . . . شهواتهم . . . ونزواتهم ! ! !

فمن أراد الله قبل الله عمله . . .

ومن أراد غيره رفض الله عمله . . .

وهذا هو حقيقة الإشراك بالله . . . فمن أشرك شيئاً مع الله فى إرادته . . . حبط عمله . . .

ومن اختص الله تعالى وحده بعمله قبل عمله . . .

وهذا هو معنى الإخلاص . . .

وينتظم فى هذا السلك . . . العبادات . . . والأعمال . . . والتوجيهات . . . وسائر ما يصدر عن الانسان . . .

ولذلك يقول سبحانه : « ... مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ... »

(سورة آل عمران ١٥٢)

هذا هو مدار الأمر ...

هل أنت تريد الدنيا بعملك ... أم تريد الآخرة ؟

قال تعالى : « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ . »

(سورة آل عمران ١٤٥)

ويقول : « مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا .

« وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا .

« كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا .

« انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وأَكْبَرُ تَفضِيلاً . »

(سورة الإسراء ١٨ ـ ٢١)

فالمدار كله على الإرادة . . .

وهذا يؤكد حرية الإرادة التي منحها الله للانسان . . .

وعلى قدر ما تريد . . . يكون نصيبك عند الله تعالى . . .

فمن أراد الله وحده . . .

أرقى ممن أراد جنته . . .

وهذا بدوره أرقى ممن أراد الدنيا . . . وهكذا

ومن شروط التكليف العقل . . .

فلا تكليف على صبي حتى يحتلم . . . ولا على نائم حتى يصحو . . . ولا على مجنون حتى يفيق . . .

ومتى تعطل العقل بطل التكليف . . . وسقطت المسئولية عن الإنسان . . .

من هنا قامت فكرة المسئولية . . . وكلف الله الإنسان . . .

فالإنسان فى حقيقته هو هذه الارادة الحرة . . . الواقعة بين قوتى التجاذب العليا والسفلى . . . القلب . . . والغرائز أو الشهوات . . .

ولكل قوة منهما جنود خارجيون . . .

القلب له ملائكة تلهمه الخير . . .

والغرائز لها شياطين تثير فيها وبها الشر . . .

هذه تزين الخير . . . السمو . . .

وهذه تزين الشر . . . الانحطاط . . .

والعقل أداة ليس إلا . . . صالحة لأن تعمل فى خدمة الغرائز . . . أو فى خدمة القلب . . .

وهذا يفسر موقفه حين يكون صاحبه شريراً . . . كيف يتفنن لصاحبه فى تنفيذ الشر الذى يريده . . .

وحين يكون صاحبه صالحاً كيف يتفنن لصاحبه فى تنفيذ الخير الذى يريده . . .

ويفسر كذلك . . . لماذا يكفر كثير من عظماء العلماء فى شتى فنون العلوم ؟ !

ولماذا يرتكب كثير من الفلاسفة والفنانين كبريات الجرائم . . .

لأن تفوق عقولهم لا يستطيع أن يمنعهم من مزاولة الشرور . . .

لأن العقـــل ليس إلا أداة كأى أداة من أدوات النفس البشرية . . .

وإنما المدار كله على الارادة الحرة . . .

متى أرادت هذه الارادة الله ربها . . . نزعت إلى السمو . . . والرق . . . والتقرب من ربها . . .

ولم تسمع لنداء الشهوات . . .

وسخرت العقل فيما تنزع إليـه . . . فيـكون إنتاجه كله صالحاً . . .

ومتى أرادت هـذه الارادة غير الله . . . ومالت إلى الدنيا وزينتها . . . وانبعت الشهوات والغرائز . . .

سخرت العقل فيما تنزع إليه ، فيـكون إنتاجه كله شريراً . . .

ومن أجل ذلك ربط الله بين الارادة وبين قبـول الأعمال أو رفضها

وهذا ما عبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : « إنَّمَا الأعمالُ بالنياتِ وإنما لـكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا

يصيبها ، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه . »

(أخرجه البخارى)

هذه هى حقيقة الانسان . . .

هى إرادته . . . هى نيته . . . هو هذا الشىء الذى لا يطلع عليه إلا الله . . .

فلا يمكن التلبيس أو التدليس فيه . . .

القلوبُ نوعَان

قلوب البشر نوعان . . . لا ثالث لهما . . .

إما قلب يتجه إلى الله . . .

وإما قلب يتجه إلى غير الله . . .

إما قلب مؤمن . . . وإما قلب كافر . . .

يشير إلى هذا قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ، فَمِنكُمْ كَافِرٌ ، وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ . . . »

(سورة التغابن ٢)

ولا ثالث لهما . . .

ولا يغررك ما تسمع عن أنواع القلوب . . . فكلها تتفرع أصلا عن هذين الأصلين . . .

ولذلك كانت خاتمة المطاف . . . إما جنة أبدا . . . وهو نهاية مطاف القلوب المؤمنة . . .

وإما نار أبداً . . . وهو نهاية مطاف القلوب الكافرة . . .

ويدخل تحت الصنف الأول . . . جميع التفريعات . . .

من صالحين . . . وشهداء . . . وصديقين . . . وأولياء . . .
وأنبياء . . .

فهذه كلها مقامات . . . ليس إلا . . . للقلوب المؤمنة . . .

ويدخل تحت الصنف الثانى . . . كل ما تسمع من تفريعات . . .
من منافقين . . . أو الذين فى قلوبهم مرض . . . أو مرجفين . . .
أو خراصين . . . أو كذابين . . . فهذه كلها دركات . . . للقلوب
الكافرة . . .

أما الأصلين الثابتين . . . فهما . . . قلب مؤمن . . . وقلب
كافر . . .

فما معنى مؤمن . . . وكافر . . . ؟ !

معناه قلب يتجه إلى الله . . . وآخر يعطى ظهره لله . . . أى يولى
عنه . . . ويتجه إلى ما سواه . . .

معناه قلب يتجه إلى أعلى . . .

وآخر يتجه إلى أسفل . . .

معناه قلب يتجه إلى النور . . . وآخر يهوى فى الظلمات . . .

ولا يتصور الجود من هذا أو ذاك . . .

وإنما الإنسان حين ظهوره فى خط الفطرة ... حين ولادته ... وبعد بلوغه ...

إما أن ينزع إلى ربه ... فهو مؤمن ...

وإما أن ينزع إلى ما سواه فهو كافر ...

ويبدأ الانسان سيره إما إلى الله ...

وإما إلى ما سوى الله ...

فأما الذين آمنوا ... فسيرهم إلى ربهم ...

وأما الذين كفروا فتولوا عنه ... إلى غيره ...

وعلى قدر استعداد ... وجهاد ... كل من الفريقين ... يصلون إلى أقدارهم من الطريقين ...

فأما القلوب المؤمنة فتسعى إلى ربها ... وتتفاوت درجاتها إلى أعلى ...

فهناك السابقون السابقون ... أولئك المقربون ...

وهناك أهل اليمين ... وهم عموم المؤمنين ...

وفى الطرف الآخر ... هناك الخطائون ... وهناك المجرمون ...

وهناك أئمة الاجرام . . . وهم السابقون إلى الاجرام . . .

وما يزال كل فريق يواصل سيره . . . فى اتجاهه الذى أراده . . . حتى الموت . . .

وعلى قدر ما سجل عند موته . . . تكون مكانته عند ربه . . .

فأما الذين آمنوا . . . وأقبلوا على ربهم . . . فلهم الحسنى . . .

وأما الذين قلوبهم منكرة . . . معرضة . . . بعيدة . . . مبتعدة . . . فلهم السوأى . . .

كل فريق قد حدد اتجاهه . . . واختار قبلته . . .

ما معنى أهل اليمين ؟ !

قال تعالى : « فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ . »

(سورة الواقعة ٨)

وقال : « وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . »

(سورة الواقعة ٩٠ و ٩١)

لماذا التعبير عن المؤمنين بأصحاب اليمين ؟

فيها رمز . . . لسر عجيب ! !

إذا كنت تسير ووجهك إلى الله . . . كانت يدك اليمنى عن يمينك فعلا . . .

وبتعبير مادى . . . إذا اتجهت بوجهك إلى الكعبة . . . التى هى رمز الاتجاه إلى الله . . .

كانت يدك اليمنى عن يمينك فعلا . . .

وإذا أعطيت الكعبة ظهرك . . . أى ولبت عن الله . . .

كانت يدك اليسرى مكان يمينك . . .

وهذا إشارة إلى أنك قد عكست الوضع . . . وضللت السبيل . . .

وإلى هذا يشير قوله : « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ . . . »
(سورة الحاقة ١٩).

إشارة إلى أنه كان فى دنياه يسير إلى ربه . . .

ويشير قوله : « وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ . »

(سورة الحاقة ٢٥).

إشارة إلى أنه كان فى دنياه مولياً عن ربه . . . معطياً ظهره لخالقه . . .

فالاتجاه إلى الله فى الدنيا إذن هو الطريق الصواب . . .

وهو ما يعبر عنه بالإيمان . . . لأنه لا يتصور الاتجاه إلى شىء لا تصدق به . . .

والاعراض عنه . . . والاتجاه إلى غيره هو الاتجاه الخاطىء . . .

كيف تقترب وكيف تبتعد؟

من أراد أن يقترب من الله . . .

فعليه أولا . . . وقبل كل شيء . . .

أن يتجه بوجهه إلى الله . . . أى بقلبه إلى الله . . .

هذا أول الطريق . . .

عليه أن يريد الله وحده . . .

وإذا خالطت إرادته أى شيء سوى الله . . . بطل اتجاهه . . .

وهو ما يعبر عنه بالشرك . . .

قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ . وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا . »

(سورة النساء ٤٨)

لماذا لا يغفر أن يشرك به ؟

لأن فاعل هذا . . . لم يتجه أصلا إلى الله . . .

وإنما اتجه إلى ما سواه . . . لأنه لا يتصور للانسان غايتين فى وقت

واحد . . . أو نقطتين يتجه إليهما فى وقت واحد . . .

وما الكعبة التى فرض الله على المؤمنين جميعاً أن يتجهوا إليها فى صلاتهم . . . إلا رمزاً لهذا التوحيد فى الاتجاه . . .

إنها نقطة على الكرة الأرضية . . . يتجهون إليها بوجوههم فى الصلاة . . .

ليتعلموا كيف يوجهون قلوبهم إليه وحده فى حياتهم كلها . . .

ويرمز إلى هذا ما جاء فى الحديث من أن من عمل عملا ، أشرك فيه غيرى فهو لغيرى ، وليس لى منه شىء . . . أو كما قال

وهذا صحيح . . . عقلا . . .

لأنه لا يتصور أن يتجه الانسان إلى نقطتين فى وقت واحد . . .

فإذا اتجه الانسان إلى الله . . . وإلى شىء سوى الله . . . فى لحظة واحدة . . .

كان متجها بالضرورة إلى ما سوى الله . . . لا إلى الله . . .

فإذا ما خلص للانسان اتجاهه . . .

كان عليه أن يتجه إليه مباشرة . . .

بلا واسطة أو وسيلة أو التواء أو ركون إلى شيء . . . أو الاستعانة بشيء سواه . . .

وإنما يستعين فى الاتجاه إليه تعالى . . . به تعالى . . .

وإلى هذا يشير قوله تعالى « إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ »
(سورة الفاتحة ٥)

أى نستعين على عبادتك العبادة الصحيحة بك وحدك . . .

أى : على التوجه إليك ...

وهذا ما يسمى بالحنيفية . . . وهى الملة العامة لجميع المرسلين . . . التى أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرنا بها جميعاً . . .

قال تعالى « وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً واتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا . »
(سورة النساء ١٢٥)

أى اتبع طريقة إبراهيم . . .

حنيفاً ؟ !

أى مائلا عن كل ما سوى الله . . . متجهاً إليه مباشرة . . .

وهذه هى ملة الخلائق الطائعة جميعا . . .

« . . . فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . »

(سورة آل عمران ٩٥)

فالعصافير إذا أرادت أن تعبد ربها تعبده عبادة مباشرة . . . لا وساطة فيها ولا وسيلة ولا التفات إلى ما سواه . . .

ولا يغررك فى هذا السبيل . . . أقاويل . . . وأفانين من زخرف القول . . . مما يزعمون من أنه لا بد للمتخلف من مقرب يأخذ بيده . . .

فبابك إلى الله هو قلبك . . .

وما عليك إذا أردت أن تتجه إليه . . .

إلا أن تفتح قلبك . . . أى توجهه إليه تعالى مباشرة . . .

فإذا ما تم لك ذلك . . .

كان الله معك فوراً . . .

قال تعالى : « وإذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي ، فَإِنِّي قَرِيبٌ ،

أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ، وَلْيُؤْمِنُوا بِي ، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »

(سورة البقره ١٨٦)

والاستجابة . . . هى التوجه إليه . . .

وهذه لا تتأتى إلا بالايمان به . . .

فمن توجه إليه . . . بعد أن آمن به . . .

فهذا هو ارشاد . . . « لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »

هذا هو الصواب . . .

فمتى استوفيت هذين الشرطين . . .

انفتحت لك أبواب رحمته تعالى . . .

لأنه قريب منك . . . وإنما أنت المحتجب عنـــــه تعالى . . . بإعراضك عنه . . .

هنالك . . . اطعه بما شئت من طاعات افترضها عليك . . . أو سنّها لك رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

فهى كلها مقبولة إن شاء الله تعالى . . .

هنالك تقترب منه تعالى . . . شيئا فشيئا . . .

على قدر جهادك . . . ومثابرتك . . . ونشاطك . . . وشوقك إليه تعالى . . .

والسالكون فى هذا السبيل درجات ودرجات . . .

أما كيف تبتعد . . . فذلك أمر سهل جداً . . .

فإن التدهور . . . إلى أسفل . . . فى مقدور الجميع . . .

فما عليه إلا أن يتبع نفسه هواها . . . فتهوى . . .

فإذا به موليا عن ربه . . .

يهوى فى دركات الظلمات . . . سريعا . . . لا يكاد يتوقف . . .

قال تعالى « . . . وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ . »
(سورة الحج ٣١)

براهين النظرية الكبرى

ليست هذه النظرية . . . مجرد . . . خاطر . . . لا يعتمد على أصول راسية . . .

كلا . . . وإنما هى طود شامخ . . . راسخ . . .

أصله ثابت . . . وفرعه فى السماء . . .

لقد استخلصناها . . . واستصفيناها . . . من عديد . . . من آيات محكمات . . . من أعلى . . . وأشمل . . . وأكمل . . . كتاب من كتب الله . . .

ألا وهو هذا المسمى بالقرآن العظيم . . .

فالبرهان الأول . . . هو قوله سبحانه :

« اللهُ وَلِيُّ الذينَ آمَنُوا ، يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ ، والَّذِينَ كَفَرُوا أوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إلى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . »

(سورة البقرة ٢٥٧)

وواضح جداً . . . لكل ذى عينين . . .

أن الله تعالى يخرج الذين آمنوا ... أى الذين اتجهت قلوبهم إليه ... من الظلمات إلى النور ...

أى : من مقامات الظلمات ... إلى مقامات النور ...

من دركات اعراض القلوب عنه تعالى ... إلى درجات إقبال القلوب عليه ...

من لعنة الإدبار ... إلى رحمة الإقبال ...

والعكس صحيح ...

هناك الطاغوت ... يخرجون الذين كفروا ...

الذين أعرضت قلوبهم عن ربها ... من النـــور ... إلى الظلمات ...

من نور الإقبال على الله ... إلى ظلمات الإدبار عنه سبحانه ...

بإذنه ؟!

قال عز من قائل :

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً

مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ.

« يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. »

(سورة المائدة ١٥ ــ ١٦)

الجديد هنا كثير . . .

أن كتاب الله . . . نور . . .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . نور . . .

والكتاب . . . كشاف . . . يكشف الحقائق . . . للقلوب . . .

والرسول . . . نور . . . يكشف الحقائق للقلوب . . .

ولذلك كان الرسول . . . « يُبَيِّنُ » . . . أى يرسل نوره . . . فيكشف . . .

وكان الكتاب . . . مبينا . . . كشافاً . . .

أى نوع يستفيد من هذا النور ؟

« يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ » . . . من اتبع الطريق

المؤدى إلى رضوانه فى النهاية . . .

من اتجه إليه تعالى . . . بقلبه . . .

هذا هو الذى يهديه الله بهذا النور . . .

« سُبُلَ السَّلَامِ » ؟ ! !

طرق . . . مقامات السلام . . . أعلى علالى النور . . .

« وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ » . . .

هذا فتح جديد . . .

« بِإِذْنِهِ » ؟ ! !

ما معنى بإذنه ؟ ! !

معناها . . . يسمح لهم بالخروج من الظلمات إلى النور . . .

أن الله تعالى خلق القلوب صالحة لهذا وذاك . . .

صالحة أن تتجه إلى أعلى . . . أو إلى أسفل . . . كيف شاءت . . .

هناك نواميس تسمح لها بحرية الاختيار . . .

ناموس ... عام ...

يسرى ... فى الجميع .. :؟!

فنى مفتتح سورة « الأنعام » من كتابه العزيز ... يقول :

« الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ . »

(سورة الأنعام ١)

الحمد لله ... الذى خلق السماوات والأرض ...

أبدعهما ... إبداعاً غير مسبوق ...

ثم ماذا ؟!!

« وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ » ... أى أنشأ نواميس ... تجعل هنالك ظلمات ونور ... مشارق ومغارب ... باستمرار ...

فى الكواكب جميعاً ... ليل ونهار ...

وفى القلوب ... دائماً ... ليل ونهار ...

هنالك فى القلوب ... إشراف وشروق ... وإظلام وغروب ...

القلب الذى يتجه إلى الله . . . يدخل مقامات النور فوراً . . .

والقلب الذى يعرض عن الله . . . يدخل إلى الظلمات فوراً . . .

وجَعَلَ ؟ ! !

وخلق نواميس تحقق ذلك أوتوماتيكياً . . . بلا توقف . . .

دليل . . . عجيب . . . جداً ؟!

من أعجب العجب . . . هذه الآية . . .

قال تعالى :

« وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . »

(سورة الأنعام ٣٩)

تأمل . . .

والذين كذّبوا بآياتنا . . . الذين لم يصدقوا ببراهين الألوهية . . .

« صُمٌّ » قلوبهم لا تسمع . . . الحق

« وَبُكْمٌ » قلوبهم لا تنطق . . . بالحق

لماذا ؟ !

« فى الظُّلُمَاتِ » . . . لأنهم جميعاً . . . فى الظلمات . . .
فى مناطق الظلمات . . .

قلوبهم فى الظلمات . . .

هذا هو الذى منع قلوبهم من سماع الحق . . . والنطق بالحق . . .

لماذا ؟ !

لأن القلب حين انقلب عن الاتجاه الصحيح . . . وتولّى . . .

دخل إلى الظلمات . . . فبعد أن كانت موجاته لطيفة . . .
وذبذباته عالية . . . وهو فى مقامات النور . . .

أصبح وهو فى الظلمات . . . موجاته كثيفة . . . وذبذباته هابطة . . . وهو فى دركات الظلمات . . .

فلا يلتقط إذاعات الموجات العالية . . . وإنما يلتقط إذاعات الموجات الكثيفة . . .

فإذا سمع سمع إذاعات الظلام . . . ولم يسمع إذاعات النور . . .

وإذا نطق . . . نطق بما سمع من موجات الظلام . . .

ولم ينطق . . . ولم يستطع أن ينطق شيئاً من إذاعات النور . . .

فهم « صُمٌّ وبُكْمٌ » حقاً وصدقاً . . .

وبذلك نستطيع أن تقول أن القلب جهاز . . . عجيب . . .

إذا اتجه إلى الله . . . استطاع أن يلتقط إذاعات النور . . . العليا . . .

وإذا انقلب . . . واتجه إلى ما سوى الله . . . التقط إذاعات الظلمات . . . السفلى . . .

ونجد ذلك مكنوناً فى قوله تعالى :

« قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ . »

(سورة الأنعام ١٠٤)

بصائر ؟!!

شيء تبصر به قلوبكم . . .

قد جاءكم نور . . . إذا دخلتموه . . . أبصرت قلوبكم فوراً . . . عجائب ملكوت الله . . .

كما تشرق الشمس فى النهار . . . فتبصر عيونكم فى نورها الأشياء . . .

كذلك إذا دخلت القلوب مقامات النور . . . أبصرت عجائب الألوهية . . .

« فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ » فمن رأى قلبه ما رأى . . . من آيات ربه . . .

فلنفسه . . . فإنما يرقى بنفسه . . .

« وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا » ومن عاش أعمى . . . لا يبصر قلبه . . . لأنه في الظلمات . . .

« فَعَلَيْهَا » . . . فإنما ينحط بنفسه . . . ويحرمها أجمل ما في الحياة . . .

أهل الظلمات موتى . . .
وأهل النور أحياء . . . ؟ !

واسمع . . . ما هو أعجب وأعجب ! ! !

قال سبحانه :

« أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ ، وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً ، يَمْشِي بِهِ

فِي النَّاسِ ، كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ، كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . »

(سورة الأنعام ١٢٢)

وهذا فتح جديد . . . فى القضية . . .

« أَوَمَن كَانَ مَيْتاً » ؟ !

واضح جداً . . . أن أهل الظلام موتى . . . أن أهل الظلام قلوبهم ميتة . . .

« فَأَحْيَيْنَاهُ » بإخراجه من الظلمات إلى النور . . .

ومتى دخل قلبه مقامات النور . . . عاد حياً . . .

« وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً » نوراً عظيما ... لأنه فى مقامات النور . . .

وجعلنا فى قلبه نوراً . . .

وجعلنا له خاصة . . . لا لكل الناس . . .

وجعلنا لكل من كان فى مقامات النور . . .

« يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ » يعيش به . . . فى الناس . . .

هو يبصر وهم لا يبصرون . . .

هو يسمع وهم لا يسمعون . . .

هو ينطق بالحق وهم لا ينطقون . . .

هو حى . . . وهم موتى . . .

والسبب يرجع إلى حالة قلبه . . . وأحوال قلوبهم ! ! !

« كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ » فى دركات الظلمات . . .

« لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا » هنالك استحالة أن يخرج منها . . .

ما دام قلبه معرضاً عن ربه . . .

بل وأعجب من هذا كله ؟ ! !

قلوب أهل النور واسعة . . .

وقلوب أهل الظلام ضيقة ؟ !!

وهذه نظرية أعجب وأعجب ! ! !

واستمع دليلها . . . من كلامه سبحانه :

« فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ، وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ

كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ . »

(سورة الأنعام ١٢٥)

حقائق جديدة . . . يلقيها سبحانه إلى عقولنا . . . لترفع مستويات تفكيرنا رفعاً عظيما . . .

« فَمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَهُ » أن يخرجه من الظلمات إلى النور . . .

« يَشْرَحْ صَدْرَهُ » أى : قلبه . . .

يتسع قلبه . . . وينفسح . . .

« لِلإِسْلَامِ » للاسلام لله . . . والإذعان له سبحانه . . .

للاتجاه إليه تعالى . . .

لانقلاب قلبه إليه تعالى . . . بعد أن كان منقلباً عنه سبحانه . . .

والعكس صحيح . . .

« وَمَن يُرِدْ أن يُضِلَّهُ » أن يخرجه من النور إلى الظلمات . . .

« يَجْعَلْ صَدْرَهُ » قلبه . . .

« ضَيِّقاً » يضيق قلبه جداً . . . بكل شيء يتصل بالحق . . .

« كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ » في طبقات الفضاء . . . بدون استعداد وإعداد . . . يسمح له بالتنفس الطبيعى فى الفضاء . . .

وهذا من عجائب القلوب ! ! !

قلوب أهل النـــــور . . . واسعة . . . تنشرح للحق . . . وتتلذذ به . . . وله تنفسح . . .

وقلوب أهل الظلام . . . تضيق . . . وتنقبض . . . وتتغير . . . وتشمئز . . . من الحق ! ! !

إنسان الظلام أعمى . . .
وإنسان النور مبصر . . . ؟!

قال تعالى :

« . . . قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ . . . »

(سورة الرعد ١٦)

سؤالان خطيران جداً ؟

هل يستوى الأعمى والبصير ؟ !

هل تستوى الظلمات والنور ؟ !

الجواب : لا يستويان ! ! !

لماذا ؟ !

لأن الأعمى يفقد الإحساس بحقائق الأشياء من حوله . . .

بينما البصير يحس إحساساً مكتملا بحقائقها . . .

وكذلك لا تستوى حياة الظلمات ولا حياة النور . . .

هذه حياة سفلية . . . منحطة . . . هابطة . . .

وحياة النور حياة علوية . . . صاعدة . . . سامية . . .

لماذا أنزل الله . . .
إليه الكتاب . . . ؟ !

قال تعالى :

« الۤر ، كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ، لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ، إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . »

(سورة إبراهيم ١)

كتابٌ ؟ ! !

عظيم . . . فخيم . . . ليس كمثله كتاب . . .

أنزلناه إليك . . . لسبب واحد . . .

« لِتُخْرِجَ النَّاسَ » لتدعو الناس جميعاً . . .

« مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » أن يخرجوا من الظلمات التى هم فيها جميعاً . . .

إلى النور . . . إلى مقامات النور . . . إلى مقامات التوجه إليه تعالى . . .

أن يحولوا قلوبهم من الإتجاه إلى غير الله . . . إلى الإتجاه إليه تعالى وحده . . .

فيخرجوا بذلك من الظلمات إلى النور . . .

« بِإِذْنِ رَبِّهِمْ » إن الله تعالى قد أذن لهم فى ذلك . . .

خلقهم . . . وفطرهم . . . قلوبهم مستعـــدة . . . وصالحة لأن تختار ما تشاء . . .

تستطيع أن تتجه إليه تعالى . . . أو أن تنقلب عنه تعالى . . .

جعل لهم حرية الاختيار . . .

جعل لكل إنسان إرادة حرة . . .

نفس الأمر . . .

أصدره تعالى . . .

إلى الكليم . . . ؟ !

ومن أعجب العجب . . .

أن ما أمر الله به محمداً . . . هو هو ما أمر به موسى ! ! !

قال لمحمد . . . صلى الله تعالى عليه وسلم :

« كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ »

وقال لموسى عليه السلام :

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . »

(سورة إبراهيم ٥)

الأمر الصادر إلى محمد . . .

أَخْرِج الناس من الظلمات إلى النور . . .

والأمر الصادر إلى موسى . . . أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النور . . . ! ! !

نفس الأمر . . . ونفس الهدف . . .

وهذا يدل على وحدة الآمر . . . سبحانه . . .

ثم انظر الإعجاز . . . فى تحديد مستوى كل رسالة ؟ !

قال لمحمد . . . « لِتُخْرِجَ الناس » . . . جميع الناس . . .

أى : رسالتك عامة لجميع الناس إلى يوم القيامة . . .

وقال لموسى « أَخْرِجْ قَوْمَكَ » رسالتك إلى بنى إسرائيل . . . ليس إلا ! ! !

القلب . . . الذى نادى . . .

فى الظلمـــــات ؟ !

قال تعالى :

« وَذَا النونِ إذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً ، فَظَنَّ أَن لَن نَقْدِرَ عَلَيْهِ

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

« فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ . »

(سورة الأنبياء ٨٧ و٨٨)

هذه خطيرة جداً . . . في براهين النظرية الكبرى . . .

« وذا النون » وذا الحوت . . . هذا الذى ابتلعه الحوت . . .

وهو يونس عليه السلام « إذ ذهبَ مُغاضِباً » غضب من قومه . . . وذهب عنهم . . . ولم يصبر عليهم . . .

« فَظَنَّ أن لَّن نَقْدِرَ عَلَيْهِ » حال . . . كان فيه قلب يونس عليه السلام . . .

مجرد ظن . . .

ظن أنه بذهابه عن قومه . . . سوف يستريح من متاعبهم . . . وينجو مما نزل بهم من عذاب . . .

فماذا حدث ؟ !

حدث العكس . . . وقع فى عذاب أشد . . .

ابتلعه حوت عظيم . . .

وهوى به إلى قاع المحيط . . .

فأصبح فى ظلمات بعضها فوق بعض . . .

ظلمة الليل . . . وظلمة بطن الحوت . . . وظلمة قاع البحر . . .

هنالك نادى ذو النون : لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنتُ مِنَ الظالمين . . .

صراخ قلب مؤمن . . .

خرج فوراً من الظلمات . . . وشق مقامات النور شقاً سريعاً جداً . . .

فصار قريباً جداً من ربه . . .

ومن مقام القرب الجديد . . . دعاه . . .

« فنادى » . . . فنادى قلبه . . .

فماذا كان الجواب ؟ !

« فَاستَجَبْنَا لَهُ » فوراً . . . بمجرد أن نادانا . . . لبيناه . . .

« ونجيناه » فوراً . . . مما هو فيه من كرب عظيم . . .

« مِنَ الغَمِّ » وأى غَمٍّ هو أعظم مما كان فيه ؟ !

« وكَذلِكَ نُنجِى المُؤْمِنِينَ » إذا خرجوا من ظلماتهم . . . واتجهوا إلينا . . . وجأروا صارخين . . .

حقاً علينا إذا كانوا كذلك أن ننجيهم ! ! !

والخطير من هذا الأمر . . .

هو حركة قلب يونس . . .

عندما ذهب مغاضباً . . . كان قلبه فى الظلمات . . .

« فنَادَى فى الظُلُمَاتِ » وهو فى الظلمات . . .

وعندما أحس يونس بالخطر . . . اتجه فوراً إلى ربه . . .

فمعنى هذا أن قلبه خرج من الظلمات إلى النور . . .

ولم يقف عند هذا . . . بل أخذ يجأر . . . فى حالة تجرد تام . . . وإسقاط للسوى . . .

أى أن قلبه ارتفع فى مقامات النور ارتفاعاً سريعاً جـداً . . . عظيماً جداً . . .

كان هذا هو حال قلبه عندما نادى . . .

وما دام القلب فى المقامات العظمى من درجات النور . . حدثت الاستجابة فوراً . . . « فَاسْتَجَبْنَا له » . . . والفاء هنـا . . . تفيد سرعة الاستجابة . . .

«وكذلك نُنجى المؤمنين » ننجيهم بقدرتنا التامة. . . متى كانوا مؤمنين . . .

المؤمنين ؟ ! ! !

الذين اتجهت قلوبهم إلينا اتجاهاً تاماً . . . وارتفعوا فى مقامات النور ما استطاعوا . . .

وجه خطير جداً . . . وأنموذج رائع لحركة قلب من قلوب أهل النور . . . فى أزمة من أخطر الأزمات التى مر بها ! ! !

الله . . . نور . . .
السماوات والأرض . . . ؟ !

قال تعالى :

« اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ ، مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا

مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ ، زَيْتُونَةٍ ، لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ، وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . »

(سورة النور ٣٥)

الله . . . نور السماوات والأرض . . .

الله . . . سبحانه هو الذى أعطى كل شىء نوره . . .

والله تعالى . . . نور القلوب . . .

لأن القلوب شىء من الأشياء . . .

هو سبحانه . . . منور القلوب . . . « مَثَلُ نورِهِ » فى القلوب . . .

ثم يقول سبحانه : « نُورٌ عَلَى نور » . . . نور الفطرة الصالحة لأن تتجه إليه تعالى . . .

ونور مقامات النور . . . حين تخرج القلوب من الظلمات . . . وتدخل إليها . . .

فالقلب حين يتجه إلى الله . . . إنما يكون نوراً على نور . . .

أى يزداد نوراً من مقامات النور . . . على نور فطرته الأولى . . .

« يَهْدِى اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ » من القلوب المستعدة . . .

وتجد ذلك كله مكنوناً فى الآيات التى بعد هذه الآية مباشرة . . .

حيث يقول سبحانه :

« فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ .

« رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ .

« لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ واللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . »

(سورة النور ٣٦ ــ ٣٨)

والمسكنون فيها . . .

« فى بيوت » فى قلوب . . . لأن القلب . . . بيت الله . . .

بما وسعنى أرضى ولا سمائى . . . ووسعنى قلب عبدى المؤمن . . .

والقلب عرش الرحمن . . .

«أذِنَ اللهُ أن تُرْفَعَ» أن ترتفع عنده . . أن ترفع درجات . . .
تلك القلوب عنده . . .

« وَيُذْكَرَ فيها اسْمُهُ » ويردد فى هذه القلوب اسمه . . .

« يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا » له خاصة . . . فى هذه القلوب . . .

« بِالغُدُوِّ وَالآصالِ » من أول اليوم إلى آخره . . .
أى باستمرار . . .

وهذا إشارة إلى أن هذه القلوب . . . دائماً فى حالة صحو
مع الله . . .

دائماً مع الله . . . وهكذا أهل الدرجات العلى . . . من مقامات
النور . . .

يندر أن يغيبوا عن ربهم . . .

« رِجالٌ » هؤلاء هم الرجال . . .

هم أبطال الرجال . . . هم قمة الرجال . . .

« لا تُلهيهم » لا تلهى قلوبهم عن ربها . . .

« تجارةٌ » مهما كثرت

« ولا بَيْعٌ » مهما عظم ربحه

« عن ذكر الله » الذى فيه حياتهم . . . ورقيهم إلى أعلى . . .

« يخافون » يخافون أشد الخوف

« يوماً » لحظة . . .

« تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ » تتقلب فيها قلوبهم عن ربهــا . . . فتهوى إلى دركات الظلمات . . .

هذا هو خوفهم الأعظم . . . يخشون القطيعة. . . يخشون انقلاب القلوب . . .

فالقلوب تتقلب دائماً . . . سريعة التقلب . . .

وهذا قانون جديد . . . من قوانين القلوب . . .

إن القلب له فى كل لحظة حال . . . إما إلى أعلى . . . وإما إلى أسفل . . .

إما إقبال وإما إدبار . . .

إما أن يزداد نوراً . . . وإما أن يزداد ظلاماً . . .

فالقلب ليس شيئاً جامداً . . .

كلا . . . إنما هو جهاز حساس جداً جداً جداً . . . سريع التقلب يمنة ويسرة . . . إلى فوق وإلى تحت . . .

إلى الله . . . أو عن الله . . .

يسجل أحوال غاية فى الخفاء . . . وغاية فى الصغر ! ! !

اللهم يا مقلب القلوب . . . ثبت قلوبنا على دينك ! ! !

ما جزاء هؤلاء الرجال ؟ !

« لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ ما عَمِلوا »

ما معنى أحسن ما عملوا ؟ !

معناها خطير جداً ؟ !

أى يعطيهم الجزاء بنسبة اعلى ارتفاع سجلته قلوبهم فى مقامات النور ! ! !

أى على قدر اعلى ما وصل القلب إليه فى درجات النور فى الدنيا . . . يكون الجزاء . . .

فإذا وصل القلب فى عمل من الأعمال إلى درجة ٩٠ ٪ مثلا . . .
وفى عمل آخر إلى درجة ٦٠ ٪ . . . أعطاه الله تعالى الجزاء بنسبة
٩٠ ٪ أى بنسبة أحسن ما عمل ! ! !

أى : تحسب درجاته بنسبة أعلى درجـــــة وصلها فى أى عمل
من الأعمال ! ! !

وهذا من عظيم الكرم ! ! !

« وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ » ويتفضل عليهم بزيادة من عنده ! ! !

« واللهُ يَرْزُقُ مَن يشاءُ بغَيْرِ حساب » الحاسبين وتقديرهم . . .
إنه واسع العطاء ! ! !

هذه عجائب قلوب أهل النور . . . أهل « نورٌ على نورٍ » . . .

فما هى عجائب قلوب أهل الظلام ؟ !

ظلمات . . . بعضها . . .
فوق بعض . . . ؟ !

قال تعالى :

« وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ

مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ .

« أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ، وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً ، فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ . »

(سورة النور ٣٩ و ٤٠)

هناك حقائق جديدة جداً . . . خطيرة جداً . . . في هذه . . .

« والذين كفروا » والذين انقلبت قلوبهم عن ربها . . . واتجهت إلى غيره . . . « أعمالهم كسراب » كخيال كاذب . . .

ثم يقول :

« أو كظلمات » أعمالهم كظلمات . . . أى أن جميع أعمال الذين كفروا ظلمات ، حتى ولو كانت عبادات وأعمال خير ! ! !

لماذا ؟ !

لأنهم كفروا . . .

لأن قلوبهم اتجهت إلى غير الله . . .

فخرجت فوراً من النور إلى الظلمات . . .

وما دام القلب فى الظلمات . . . كان كل ما يصدر عنه ظلمات . . .

لأنه لا يتجه إلى الله . . . لا يريد الله بعمله . . .

مهما كان نوع عمله . . . حتى ولو كان إصلاحاً عاماً فى الأرض . . .

والعكس صحيح . . . متى كان القلب مؤمنا . . . كان كل عمله . . . نوراً . . .

لأنه خرج من الظلمات إلى النور . . . فأعماله نور . . .

لأنه يريد بها وجه الله . . .

مهما كانت تلك الأعمال تافهة ! ! !

هذه حقيقة عظمى . . .

وحقيقة أخرى . . .

« ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ » أعمالهم ظلمات . . . وكلما ازدادوا عملا وهم فى الظلمات . . . ازدادوا ظلاما . . . فأعمالهم « ظلماتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ » ! ! !

والعكس صحيح . . . كلما عمل أهل النور صالحا . . . ازدادوا نوراً . . . « نُورٌ عَلَى نُورٍ »

ومن هنا تتشعشع حقيقة ثالثة كبرى . . .

كل طاعة لله . . . تورث القلب نوراً . . .

وكل معصية لله . . . تورث القلب ظلاماً . . .

ومعنى هذا بلغة القلوب . . .

ولغة النظرية التى نحن فيها . . .

كل لحظة تمر على القلب وهو متجه إلى الله . . . تورثه نوراً . . . تزيده نوراً أى « نُورٌ عَلَى نُورٍ »

وكل لحظة تمر على القلب وهو متجه إلى غير الله . . . تورثه ظلاما . . . تزيده ظلاما . . . أى « ظلماتٌ بعضُها فَوْقَ بَعْضٍ » !!!

« وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نوراً » فى قلبه . . . ومن لم يخرجه من الظلمات إلى النور . . .

« فمالَهُ مِن نُورٍ » فستحيل أن يكون له نور . . .

لأنه فى الظلام . . .

ومن هنا تتشمشع حقيقة كبرى . . .

أن القلب الذى فى الظلمات مستحيل أن يكون له نور . . . ما لم ينقلب . . . ويرجع إلى الله . . .

ما لم يخرج فوراً من الظلمات إلى النور . . .

وهذا يفتح علينا فهماً عظيما . . . خطيراً جداً . . .

ما هى التوبة ؟ ! !

ما هى حقيقة التوبة ؟ !

قالوا : التوبة هى الرجوع إلى الله . . . فما معنى ذلك ؟ !

معناه بلغة القلوب . . . لغة النظرية . . . التى نحن فيها . . .

أن القلب الذى فى الظلمات . . .

قد انقلب . . . قد غير اتجاهه . . .

فبعد أن كان يسير إلى أسفل . . . إلى الهاوية . . .

انقلب يسير إلى أعلى . . . إلى الله . . .

أى أن حركة القلب . . . أصبحت عكس اتجاهها الأول . . .

ومتى انقلب التائب . . . فقد رجع إلى الله . . .

ومتى رجع إليه تعالى . . . فقد اتجه إليه سبحانه . . .

أى خرج فوراً من الظلمات إلى النور . . .

هذه هى التوبة فى حقيقتها ! ! !

هى انقلاب القلب من الاتجاه إلى السـوى . . . إلى الاتجاه إلى الله . . .

لماذا يبدل الله . . . سيئات التائبين . . . حسنات ؟ !

عندما تنقلب قلوب التائبين . . . وتغير اتجاهها من أسفل إلى أعلى . . .

تخرج فوراً من الظلمات إلى النور . . .

ومتى دخلت القلوب مقامات النور . . . أصبحت لا ظلمات فيها . . .

وهذا هو مكنون حقيقة معنى تبديل السيئات إلى حسنات . . .

لأن السيئات ظلمات . . . والحسنات نور . . .

أى بلغة الحتمية : يحول ظلماتهم إلى نور . . .

وبلغة حقيقة الحقيقة . . . يخرجهم من الظلمات إلى النور ! ! !

عجائب غريبة جداً . . .

وأغرب منها أنها حقائق ثابتة ! ! !

قال تعالى :

« إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً .

« وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللهِ مَتَاباً . »

(سورة الفرقان ٧٠ و ٧١)

تأمل عجائب مكنوناتها ؟ ! !

« وَمَن تَابَ » ومن رجع . . . ومن انقلب إلى ربه . . .

« وَعَمِلَ صَالِحاً » أى عمل . . . مهما كان صغيراً . . .

ودأب يعمل صالحاً . . .

« فَإِنَّهُ يَتُوبُ » فإنه فى الحقيقة لو تعلمون يرجع . . .

« إلى الله » ينقلب قلبه إلينا مرة ثانية . . .

« متاباً » رجوعاً حقيقياً . . .

فكيف لا نقبله . . . وكيف لا نكرمه . . . وكيف لا نعطيه ؟ ! !

لماذا يصلى الله . . . وملائكته . . . علينا . . . ؟ !

وهذا ناموس من أعجب النواميس العُلَى ! ! !

استمع ماذا يقول ربنا تبارك وتعالى :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً .

. . « وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً .

« هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً .

« تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً . »

(سورة الأحزاب ٤١ ـ ٤٤)

« يا أيها الذين آمنوا » يا أيها الذين اتجهت قلوبهم إلينا . . .

« اذكروا الله ذكراً كثيراً » لتكن قلوبكم دائماً معنا . . .

وهذا هو حقيقة الذكر الكثير . . .

« وسبحوه » ونزهوه

« بكرة وأصيلا » أول اليوم وآخره . . . والمراد دائماً وباستمرار وبلا توقف . . .

لماذا يُطلب من أهل النــــور أن يكونوا دائماً . . . وقلوبهم مع الله . . . . . . دائماً يذكروه ويسبحوه ؟ !

لتكون صالحة لتلقى العطاء الربانى . . .

ما هو هذا العطاء ؟ !

« هو » الله

« الذى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ » الذى يفيض رحماته باستمرار على أهل النور . . .

على القلوب التى تتجه إليه . . .

وملائكته » وملائكته يصلون . . . يدعون باستمرار لأهل النور . . . أن يغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك . . .

لماذا كل هذا ؟ !

« لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » من ظلمات الغفلة . . . إلى نور الصحو . . .

ليرق بهم من الدرجة الدنيا إلى الدرجة العليا . . .

لماذا يفعل الله ذلك؟

«وكان بالمؤمنين رحيما» شأنه تعالى دائماً . . . أنه سبحانه يختص برحمته من يشاء من أهل النور . . .

فانظر إلى جمال التوجيه ؟ ! !

يوجه أهل النور . . . أن يكونوا دائما وقلوبهم معه . . . ما بين ذكر وتسبيح . . .

ليكونوا دائما مستعدين لتلقي عطاياه وإكراماته . . .

حين يصلي سبحانه عليهم . . .

وتصلي ملائكته عليهم . . .

ومن هنا يتشعشع ناموس جديد . . .

أن مقامات النور . . . تتنزل عليها الملائكة دائما . . .

ودركات الظلمات . . . تتنزل عليها الشياطين دائما . . .

وهى قاعدة عامة لا تتغير . . .

القلوب التى فى مقامات النـــــور . . . تتنزل عليها دائما الملائــكة . . .

قال تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ .

« نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . »

(سورة فصلت ٣٠ و٣١)

« تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ » دائما وباستمرار . . .

« نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » نحن أصدقاؤكم دائما فى الحياة الدنيا . . .

هذا ناموس . . . أن الملائكة . . . تتنزل دائما فى مقامات

النور . . . على قلوب أهل النور . . .

لأن الملائكة نور . . . تتنزل على مقامات النور . . . إذا كانت القلوب فيها . . .

والعكس صحيح . . . الشياطين تتنزل على قلوب أهل الظلام . . .

قال تعالى :

« هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . »

(سورة الشعراء ٢٢١ و ٢٢٢)

هناك تنزل . . . باستمرار . . . من الشياطين . . . على قلوب أهل الظلام . . .

وهكذا . . . ناموس رهيب . . .

كل قلب فى مقامات النور . . . تتنزل عليه الملائكة . . .

وتصلى عليه . . . وتدعو له . . . وتعينه . . . وتلهمه الخير . . .

وكل قلب فى دركات الظلام . . . تتنزل عليه الشياطين . . .

وتوسوس إليه . . . وتضله . . . وتدفعه إلى الشر ! ! !

الأحياء ... والأموات ...

قال تعالى :

« ... وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ .

« وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ .

« وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ .

« وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ .

« وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ . »

(سورة فاطر ١٨ — ٢٢)

« وَمَن تَزَكَّى » ومن ترقّى

« فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ » فإنما يترقى لنفسه ...

ثم أرسل الله إشعاعاً باهراً قاهراً ... يكشف حقائق عليا ...

« وما يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالبَصِيرُ » فى عالم المحسوس ... هذا يرى الأمور على حقيقتها ... وذاك لا يدرى عنها شيئا ...

كذلك أهل النور يبصرون آيات ربهم ويدركونها . . .

وأهل الظلام لا يرون منها شيئا ! ! !

« وَلَا الظُّلُمَاتُ ولا النُّورُ » لكل عالم نواميسه . . .

الظلمات لها نواميس تناسبها . . . كثيفة . . .

والنور . . . له نواميس تناسبه . . . لطيفة

« وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ » شدة الحر . . .

ولا البارد ولا الحار الشديد الحرارة . . .

للمناطق الظليلة جمالها . . . وللمناطق الحارة آلامها . . .

كذلك مقامات النور . . . كلها رحمة ولطف وأنس وبهجة من الله . . .

ودركات الظلمات كلها قلق وغضب وسخط وضيق . . .

« وَمَا يَسْتَوِى الأحياءُ وَلَا الأَمْوَاتُ » أهل النور أحياء . . . يحيون الحياة العليا . . . حياة النور . . .

وأهل الظلام أموات . . . لا يذوقون شيئا من أحاسيس أهل النور . . .

« إنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشاءُ » أهل النور وحـــدهم هم الذين يستطيعون سماع هذه الحقائق وإدراكها . . .

ما هو هدف إنزال الآيات ؟ !

قال تعالى :

« هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ . »

(سورة الحديد ٩)

هذا هو هدف إنزال الآيات البينات . . .

هدف واحد . . . هو أن تخرج القلوب . . . بتدبرها . . .

من الظلمات إلى النور . . .

لماذا ؟ !

« وإنَّ اللهَ بكُم لرءوفٌ » ومن رأفته بكم أن يخرجكم من الظلمات إلى النور . . .

« رحيمٌ » ومن رحمته أن أرسل إليكم رسولا رحيما . . .

وهو نفس المعنى فى قوله تعالى :

« رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . »

(سورة الطلاق ١١)

إن الرسول . . . يتلو . . . علينا . . . آيات الله . . . مبينات . . . كاشفات بأنوارها لحقائق الأمور . . .

لماذا ؟ !

« ليُخْرِجَ الذين آمنوا » القلوب التى اتجهت إلى ربها

« وعملوا الصالحاتِ » ودأبت تعمل صالحاً

« من الظلُمَاتِ » التى كانوا فيها

« إلى النور » نور التوجه إلى الله . . .

لمن شاء . . . منكم . . . أن يتقدم . . .
أو يتأخر ؟!

يقول تعالى :

« إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ .

« نَذِيراً لِّلْبَشَرِ .

« لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ .

« كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ . »

(سورة المدثر ٣٥ ـ ٣٨)

أشعل مصباحها . . . وانظر تحت إشعاعات كشافها . . . كشاف النظرية . . .

تتلألأ حقائق كبرى . . . أمام عيني قلبك فوراً . . .

الحقيقة الأولى . . . لِمَن شَاءَ منكم . . .

لأى إنسان منكم أيها البشر . . . ذكراً أو أنثى . . . صغيرا أو كبيرا . . .

الحقيقة الثانية . . . أن يتقـــــدم أو يتأخر . . . أن يتقدم إلى أعلى . . . أو يتأخر إلى أسفل . . .

أن يتقرب إلى ربه . . . أو يتأخر إلى الهاوية . . .

أن يرق . . . أو يسفل . . .

أن يقترب . . . أو يبتعد . . .

الحقيقة الثالثة . . . كل نفس بما كسبت رهينة . . . حبيسة . . . بمعاصيها . . . ولا تتحرر إلا إذا تحررت من المعاصى . . .

هنالك إذا بشر . . .

وهنالك « نور » جاءهم من ربهم . . .

فمن استضاء به رأى الحقيقة . . . ومن أدبر لم ير شيئاً . . .

وهنالك إرادة حرة لكل إنسان . . . إن شاء تقدم . . . وإن شاء تأخر ! ! !

وتجد ذلك كله مكنوناً فى قوله تعالى :

« وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ . »

(سورة الحجر ٢٤)

أى : الذين يسعون إلى التقدم . . والذين يسعون إلى التأخر . . .

الذين يتجهون إلينا . . . فيدخلون مقامات النور . . . ويستمرون فى التقدم فيها . . . والترقى . . .

والذين يتجهون إلى غيرنا . . . فيدخلون الظلمات. . . ويستمرون في التأخر فيها . . . والهبوط . . .

هذه هي براهين النظرية الكبرى . . . من كتاب الله تعالى. . .

فما هي براهين النظرية من صحاح أحاديث رسول الله ؟ . . .

حشـــــد هائل . . .
من أحاديث رسول الله . . .
تؤيد النظرية تأييداً كبيراً !!!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بادِرُوا بالأعْمالِ ، فِتناً كَقِطَعِ الليْل المُظْلِمِ

« يُصْبِحُ الرجُلُ مُؤمِناً ، ويُمْسِي كافِراً

« أوْ يُمْسِي مؤمِناً ، ويُصْبِحُ كافِراً

« يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدنيا . »

(أخرجه مسلم)

قال الأقدمون :

معنى الحديث ، الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، قبل تعذرها والاشتغال عنها

« بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة ، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر

« ووصف صلى الله عليه وسلم نوعاً من شـــــدائد تلك الفتن ، وهو أنه يمسى مؤمناً ثم يصبح كافراً ، أو عكسه

« وهذا لعظم الفتن ، ينقلب الإنسان فى اليوم الواحد هذا الانقلاب . »

وهذا الذى قاله الأقدمون حق . . . وإنما له مكنون . . .

فماذا تقدم لنا النظرية الجديدة . . . فى كشف عجائب الحديث ؟ !

أشعل شرارتها . . . ينطلق منها نور عظيم . . .

فإذا بعجائب الحديث . . . تتلألأ تحت إشعاعتها . . .

« بادروا بالأعمال » سارعوا بالأعمال الصالحة . . . فروا بقلوبكم إلى الله . . . وواصلوا الفرار إليه تعالى . . .

واصلوا الترق فى مقامات النور . . .

« فتنا » امتحانات رهيبة . . . سوف تسكون فى الحياة . . .

سوف توضعون أمام مؤثرات خارجية . . ومؤثرات نفسية . . .

سوف تمتحنون امتحاناً رهيباً . . .

« كتقطع الليل المظلم » تهب الفتنة . . . منطقة بأكملها من الظلام الشديد . . .

لا يبصر فيها الإنسان حقاً من باطل . . .

« يصبح الرجل مؤمناً » يبدأ يومه متجها بقلبه إلى الله . . . فى مقامات النور . . .

وتعترضه أثناء يومه فتن الحياة المظلمة . . .

« ويمسى كافراً » فيتضعضع أمامها . . ويتقهقر أمام مؤثراتها . . . فينقلب عن ربه . . . ويخرج من النور إلى الظلمات . . .

أو العكس . . .

« يمسى مؤمناً » يمسى فى النور . . . قلبه متجه إلى الله . . .

« ويصبح كافراً » تعرض له فى الليل مغريات الحياة الصاخبة ،

وعبث الليالى الحمراء . . . فيستجيب لمغرياتها . . . ويخرج بذلك من النور إلى الظلمات . . .

أى : يصبح وقلبه متجه إلى أسفلَ . . . إلى الشيطان ! ! !

ثم يسارع صلى الله عليه وسلم إلى بيان سبب هذه الانقلابات السريعة فيقول :

« يبيع دينه » يخرج من النور

« بعرض » بشىء حقير تافه بالنسبة إلى ما عند الله . . .

« من الدنيا » من مؤثرات الحياة وشهواتها . . .

فانظر كيف أيد الحديث النظرية . . . ثم كيف كانت النظرية كسباً رائعاً . . . أضاف إلى إدراكاتنا من الحديث إضافات عريضة . . . بما أرسلت من إشعاعاتها . . . وبما أضاءت فى قلوبنا ؟ !

أشد أنواع الظلام ؟!

« لَمَّا نَزَلَت (الذينَ آمنوا ولَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهُم بِظُلْمٍ)

« شَقَّ ذلكَ على أصحابِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

« وقالوا : أَيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ !

« فقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : لَيْسَ هوَ كما تَظُنُّونَ

« إنّما هوَ كما قالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ (يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : ومن جعل العبادة لغير الله تعالى فهو أظلم الظالمين .

فماذا تضيفه النظرية. . . إذا أشعلنا شعاعها . . . وسلطناه من وراء عقولنا . . . ونحن نتأمل الحديث ؟ !

نرى فى إشعاعها . . . أن الشرك هو الظلم العظيم . . .

هو الظلام الأعظم . . .

باعتبار أن « الظُّلْم ظُلُمات » كما جاء فى حديث آخر . . .

فلماذا كان الشرك هو الظلمات الكبرى ؟

لأن القلب قد انقلب عن الله . . .

واتجه نهائياً إلى أسفل . . . إلى الهاوية . . .

فتحول القلب وكل ما يصدر عنه من أقوال أو أفعال إلى ظلمات. . .

وهذا هو أشد الظلم لنفسك . . . لأنك أضعتها إلى الأبد . . .

وإذا نظرت إلى الآية . . . فى إشعاعاتها . . . كان معناها :
« (الذين آمنوا) الذين اتجهت قلوبهم إلينا . . . ودخلوا مقامات النور . . .

« ولم يلبسوا إيمانهم » ولم يخالطوا نورهم

« بظُلم » بظلام . . .

أى لم يتدهوروا مرة أخرى . . . ويخرجوا من النور إلى الظلمات . . .

وهذه مفاهيم جديدة . . . تتلألأ من النصوص . . . تحت إشعاعات النظرية ! ! !

وعجائب أخرى ؟ !

« عَن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

« فيما يَرْوِى عَن رَبِّهِ تبارَكَ وتعالَى قالَ

« إنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسنَاتِ والسيِّئاتِ

« ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ

« فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ ، حَسَنَةً كَامِلَةً

« وإنْ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا ، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وجَلَّ عِندَهُ عَشْرَ حسناتٍ

« إلى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ

« إلى أضْعافٍ كثيرةٍ

« وإن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ ، فلم يَعْمَلْها كَتَبَها الله عندَهُ حَسَنَةً كامِلَةً

« وإنْ هَمَّ بها فعَمِلَهَا ، كتبها اللهُ سيِّئَةً واحِدةً . »

(أخرجه مسلم)

يوشك هذا الحديث . . . أن يتحول إلى نور . . . يتشعشع إلى جميع الأنحاء ! ! !

وهو كذلك حقاً وصدقا . . .

فماذا تضيفه النظرية . . . من مفاهيم جديدة فيه ؟ !

نلتقط قوله « كتبها الله عز وجل عنده عشرَ حسناتٍ ، إلى

سبعمائةِ ضعف ، إلى أضعافٍ كثيرة » . . .

كيف يحدث هذا فى القلب . . . وكيف يتأثر القلب أوتوماتيكياً بهذه الزيادات . . . والمضاعفات فى أجر الحسنة ؟ !

إن العبد إذا هَمّ بالحسنة . . . معنى هذا أن قلبه قد بدأ يتجه إلى الله . . .

فهنا يدخل مقامات النور فوراً . . . ويخرج من ظلماته . . .

فإن كان فى النور عند حالة الهمّ . . . ارتقى درجة إلى أعلى . . .

وهو مكنون قوله : « فَمَن هَمّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة »

أى : أعطاه بها فوراً نوراً . . . فإن كان فى النور زاده نوراً . . . أى رفعه درجة . . .

وإن كان فى الظلمات . . . أخرجه منها وأدخله بأول مقامات النور . . .

« وإن هَمّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات »

لأن تنفيذ الحسنة معناه أن القلب قضى وقتاً أكثر فى اتجاهه إلى الله . .

فيأخذ عشر حسنات . . . عشر درجات إلى أعلى . . .

فإن كان أشد إخلاصاً لله فى تنفيذها . . . ضاعف له الأجر « إلى سبعمائة ضعف »

أى : أعطاه قوة انطلاق إلى أعلى . . . إلى الله . . . تعادل سبعمائة ضعف . . .

فإن كان أكبر من ذلك إخلاصا . . . أى كان قلبه أثناء عمل الحسنة . . . شديد الانطلاق إلى ربه . . . أعطاه أكثر وأكثر وأكثر . . . إلى ما لا نهاية . . . فى انطلاقه إلى أعلى . . .

وهذا هو مكنون قوله « إلى أضعاف كثيرة » . . .

كثيرة جداً . . . وراء العقول . . . بما فى قلوبهم من رغبة خارقة فى التوجه إلى الله . . .

أى رفعهم فى مقامات النور رفعا عظيما ! ! !

والعكس صحيح . . .

« وإن هَمّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة » . . .

حين هَمّ بالسيئة . . . اتجه قلبه إلى أسفل . . . إلى الظلمات . . .

« فلم يعملها » ثم تذكر ربه . . . وتراجع عنها . . . ولم يعملها . . . لم ينفذها . . .

أى أن قلبه انقلب ثانية إلى الله . . . أى بدأ يتجه إلى النور مرة أخرى . . .

وهذا هو مكنون « كتبها الله عنده حسنة كاملة »

أى رفعه فى النور درجة . . .

« وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » رحمة منه تعالى بالإنسان الضعيف . . .

أخطر حديث . . .
فى أصول النظرية الكبرى ؟ !

ولتسمع الدنيا . . . فى مشارقها ومغاربها . . .

إلى أخطر حديث . . . صح عن أعظم رسول . . . أرسله ربنا تبارك وتعالى . . . ذلك الذى اسمه محمد . . . صلى الله عليه وسلم . . .

« عن حُذَيفَةَ قالَ

« كُنّا عِندَ عُمَرَ

« فقالَ : أيُّكُمْ سَمِعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، يَذْكُرُ الفِتَنَ ؟

« فقالَ قَوْمٌ : نحنُ سَمِعْناهُ

« فقالَ : لعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتنَةَ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ ، وجارِه ؟

« قالوا : أَجَلْ

« قال : تِلكَ تُكَفِّرُها الصلاةُ ، والصيامُ ، والصَّدَقَةُ

« ولَكِنْ أيُّكُمْ سَمِعَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يَذْكُرُ الفِتَنَ التي تَمُوجُ مَوْجَ البَحْرِ ؟

« قالَ حُذَيفَةُ : فأَسْكَتَ القومَ

« فقُلْتُ : أنا

« قال : أنتَ ؟ . . . لِلهِ أَبُوكَ ؟

« قالَ حُذَيفَةُ : سَمِعْتُ رسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم يقولُ :

« تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَى القُلُوبِ كالحصيرِ ، عُوداً عُوداً

« فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا

« نُـكِتَ فيهِ نُـكْتَةٌ سَوْدَاءُ

« وأيُّ قَلْبٍ أنـكَرَها

« نُـكِتَ فيهِ نُـكْتَةٌ بيضاءُ

« حتى تصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ

« عَلَى أبْيَضَ مِثْلَ الصَّفَا

« فلا تضُرُّهُ فِتْنَةٌ ، مَا دَامَتِ السماواتُ والأَرْضُ

« والآخَرُ أسْوَدُ مُرْبَادًّا

« كَالْـكُوزِ مُجَخِّيًا

« لا يَعْرِفُ مَعرُوفًا ، ولا يُنـكِرُ مُنْـكَرًا

« إلّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ . . . »

(أخرجه مسلم)

قال القدماء العظماء العلماء . . .

أصل الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار

ثم صارت لـكل أمر كشفه الاختبار عن سـوء ، يقال : فتن

الرجل يفتن فتوناً : إذا وقع فى الفتنة وتحول من حال حسنة إلى سيئة

وفتنة الرجل فى أهله وماله وولده ضروب من فرط محبته لهم وشحه عليهم وشغله بهم ، عن كثير من الخير

كما قال تعالى : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)

أو : لتفريطه بما يلزم من القيام بحقوقهم وتأديبهم وتعليمهم ، فإنه راع لهم ومسئول عن رعيته

وكذلك فتنة الرجل فى جاره من هذا

فهذه كلها فتن تقتضى المحاسبة

ومنها ذنوب يرجى تكفيرها بالحسنات كما قال تعالى (إنّ الحسناتِ يُذهِبْن السيئاتِ)

« التى تموج موج البحر » أى : تضطرب ويدفع بعضها بعضاً . . . وشبهها بموج البحر لشدة عظمها وكثرة شيوعها

« فأسكت القوم » فأطرق وصمت القوم . . . وإنما سكتوا لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع من الفتنة ، وإنما حفظوا النوع الأول . . .

« لله أبوك » كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها . . أى : لله أبوك حيث أتى بمثلك !

« تُعرَضُ الفتنُ على القلوبِ كالحصير عُودا عُودا »

أى : تعاد وتكرر شيئا بعد شىء

أو : تظهر على القلوب ، أى : تظهر لها فتنة بعد أخرى

وقوله كالحصير : أى : كما ينسج الحصير ، عوداً عوداً ، وشظية بعد أخرى

وذلك أن ناسج الحصير كلما صنع عوداً أخذ آخر ونسجه ، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى ، بعرض قضبان الحصير على صانعها واحداً بعد واحد

« فأىُّ قلب أشْرِبَها نُكِتَ فيه نُكتة سوداء وأى قلب أنكرها نُكتَ فيه نُكتة بيضاء » معنى أشربها : دخلت فيه دخولا تاماً

ومنه قوله تعالى : (وأُشْرِبوا فى قلوبهم العجل) أى : حب العجل

ومعنى : نكت نكتة : نقط نقطة

وكل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو نكت

ومعنى أنكرها : ردها

« على أبيض مثل الصفا » ليس تشبيهه بالصفا بياناً لبياضه ، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل

وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا : وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء

« مُرْبَادًّا » اربد لونه : إذا تغير ودخله سواد . . .

أي : مسوداً

« كالكوز مُجَخِّيًا » منكوساً

وليس تشبيها لما تقدم من سواده ، بل هو وصف آخر من أوصافه بأنه قلب ونكس ، حتى لا يعلق به خير ولا حكمة

شبه القلب الذي لا يعي خيراً بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه

وقالوا : معنى الحديث أن الرجل إذا تبع هواه وارتكب المعاصي ، دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة

« وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام

« والقلب مثل الكوز ، فإذا انكب انصب ما فيه ، ولم يدخله شيء بعد ذلك . »

ذلك شيء مما قاله أولئك القدماء العظماء الفقهاء العلماء . . .

وعندى أن هذا الحديث العظيم . . .

يعتبر أصلا خطيراً . . . قليل النظير . . . من أصول هذه النظرية الخطيرة . . .

فماذا فيه من المفاهيم المستحدثة . . . العُلى . . . تحت إشعاعاتها ؟ !

فلنتطهر إذاً . . . ولندخل إلى حرمه الأقدس . . .

سائلين الله تعالى . . . أن يفتح علينا فى فهمه . . . فتحا من لدنه مبينا ! ! !

يقول صلى الله عليه وسلم :

« تُعْرَضُ الفتنْ » العرض عنها بلغة اليوم . . . كالعرض السينمائى . . .

تمر الحوادث والمؤثرات . . .

والفتن هى كل ما فى حياة الإنسان . . .

كل ما يمر عليه فى حياته . . .

كل شىء هو بالنسبة إليك . . . فتنـــــة . . . امتحان . . . اختبار . . .

قال تعالى : « . . . وَجَعَلْنا بعضَــكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً . . . »

(سورة الفرقان ٢٠)

فالإنسان يختبر . . . فى كل شىء . . . وبكل شىء . . .

هل يتجه فيه . . . نحو الله . . . أم نحو ما سواه . . .

نحو النور . . . أم نحو الظلام ؟ !

« على القلوب » ولم يقل على الإنسان . . . لأن القلوب . . . هى حقيقة الإنســـــان . . . هى التى تتأثر بالفتن . . . بالمؤثرات الخارجية . . . والداخلية . . .

هى الأجهزة البالغة الحساسية . . . داخل الأبدان . . . التى تتأثر أوتوماتيكياً بكل ما حولها . . .

« كالحصير » هـذا تشبيه عجيب . . . والمراد كما ينسج الحصير . . .

« عُوداً عُوداً » حادثة حادثة . . . واقعة واقعة . . .

أى : أن الحياة. . . حياة كل إنسان. . . تمر عليه . . . كالشريط السينمائى . . . صورة صورة . . . حتى إذا انقضى عمره . . . كان قد تم عرض شريط حياته كاملا . . .

وكما تنسج الحصير . . . عوداً عوداً . . . حتى تتكامل فى النهاية . . .

فإن قصة حياة كل إنسان . . . عبارة عن سلسلة حوادث . . . متتابعة . . . تنضم كل حادثة إلى أختها . . . ومنها فى النهاية تتكامل قصة حياة كل إنسان . . .

فالمنظر العجيب هو هذا . . .

حياة عامة متدافعة . . . متتابعة . . . لا تتوقف . . .

مجتمع يمضى فى تدافعه . . . كما يمضى البحر الهادر . . . لا يتوقف . . .

حوادث . . . تتتابع . . . دون توقف . . .

وإنسان . . . تمر عليه هذه الحوادث . . . هذه الفتن . . .

لينظر الله : ماذا يكون موقفه وتصرفه منها ؟

ما أروع هذا ؟

« تُعْرَضُ الفتنُ على القلوبِ . . . عُودا عُودا » ؟ !

تعرض الحوادث تباعاً على القلوب . . . حادثة حادثة . . .

« فأىُّ قلبٍ أُشْرِبَهَا » فأى قلب أحبها ، ومال إليها ، وركن إليها . . . وخالطت قلبه . . .

كيف يحدث هذا ؟ !

لنأخذ أخطر فتنة على الرجال . . . كما ورد فى الحديث . . .
ما تركت وراءى فتنة أشد خطرا على الرجال من النساء . . .

أى : فتنة الجنس . . . لأن نداء الغريزة الجنسية تتضعضع أمامه إرادة كثير من الرجال . . .

امرأة حسناء . . . عرضت فى حياة رجل . . .

فاشتهاها . . . فاتبع هواه . . . وعصى ربه . . . من أجلها . . .

ما معنى هذا . . . فى ملكوت القلوب ؟ !

معناه أن ذلك القلب . . . حين عصى ربه . . . من أجل امرأة . . .

إنما انقلب عن ربه . . . واتبع هواه . . .

أى خرج من النور . . . إلى الظلمات . . .

فمعنى « أشربها » أحبها . . . أى مال القلب إلى اتباعها . . .

ومتى تحول القلب إلى شىء . . . فقد تحول عن الله ! ! !

ماذا يحدث ؟ !

« نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ » كيف يحدث هذا ؟

أقرب مثال يقرب إليك هـــذا فى الحياة الحديثة . . . شاشة التليفزيون . . . حين تدير مفتاح الضوء . . . فتزداد الشاشة ضوءاً . . أو تقل الإضاءة على الشاشة . . .

فى لحظة . . . بإدارة مسمار ما . . . فى الجهاز . . . يحدث هذا . . .

كذلك القلب . . . بل هو أعلى . . .

بمجرد المعصية . . . يزداد ظلاماً . . . « نُكِتَ فيه نكتةٌ سوْداءُ » . . .

والعكس صحيح . . .

« وأيُّ قلب أنكرها » أي : ردها . . .

أي : لم تؤثر فيه . . . لم تحوله عن الاتجاه إلى الله . . .

لم تخرجه من النور إلى الظلمات . . .

« نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بيضاءُ » أي : ازداد نورا . . . فورا . . .

لأن مقاومته للفتن . . . معناه أنه يواصل السير إلى الله . . . رغم هذه العوائق . . .

« حتى تصير على قلبين » حتى تصير الفتن على قلبين اثنين . . .

« على أبيض مثل الصفا » على قلب منير . . . لا منفذ للظلمات إليه . . .

قلب عنده مناعة . . . ضد الفتن . . . « فلا تَضُرُّهُ فِتنةٌ » فلا تخرجه فتنة ما . . . من فتن الحياة . . . من الظلمات إلى النور . . .

« ما دامتِ السماواتُ والأرض » ما دام حيا . . .

ما معنى هذا ؟ !

معناه أن قلوب أهل النور . . .

القلوب التى فى مقامات النـــــور . . . والتى تواصل الترق، إلى ربها . . .

القلوب التى ثبتت على الحق . . . وارتفعت فى مقامات التقرب. . .

مهما تعرض عليها من فتن . . . فى النفس . . . فى المـال . . . فى الأولاد . . . فى المجتمع . . .

لا تضرهم هذه الفتن . . .

لأنهم قد انفتحت قلوبهم على الموجات العليا . . . على عالم الغيب. والملـكوت . . .

وانغلقت على الموجات السفلى . . . على عالم الملك والشهادة . . .

قلوب أهل النور . . . لا تنفعل إلا بموجات النور . . .

أما موجات الظلام . . . فهى معزولة عنها عزلا تاماً . . .

« والآخر » والقلب الآخر . . . والنوع الثانى من القلوب . . .

« أسود مُرْباداً » أسود . . . شديد السواد . . .

مظلم . . . شديد الإظلام . . .

« ظُلُماتٌ بعضها فوق بعض » . . .

« كالكوز مُجَخِّيًا » منكوساً . . . منقلباً . . .

وفى هذه سر رهيب . . .

أن القلب ينقلب عن ربه . . . وهذا هو النكس . . .

ومتى انقلب القلب عن ربه . . . خرج فوراً من النور إلى الظلمات . . .

«لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً» لا يعرف خيراً ويدعو إليه، ولا يقاوم شراً ويبتعد عنه . . .

لماذا ؟ !

لأن الحقائق قد انقلبت فى مفاهيمه ! !

فهو يرى الخير شراً . . . والشر خيراً . . .

يرى الأمور منقلبة . . . عقوبة له على انقلابه عن ربه ! ! !

حقائق رهيبة جداً ! ! !

« إلا ما أُشرِب » إلا ما أشرب قلبه . . .

« من هواه » مما أحب . . .

إلا ما أحب من شهواته . . .

إنه يتخذ إلهه هواه . . . فما أحب فهو الحق . . . وما كره فهو الباطل ! ! !

تلك بعض مفاهيم فى النظرية . . . تلألأت تحت شعاعها . . .

ليعلم الذين هم فى شك من النظرية . . . أنها شجرة ربانية . . . تمتد جذورها . . . فى أرض طيبة ! ! !

الصــــلاة نور ؟!

فى حديث جامع . . . لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« . . . والصَّلَاةُ نُورٌ

« والصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ

« والصَّبْرُ ضِيَاءٌ . . . »

(أخرجه مسلم).

قالوا : « الصلاة نور : معناه أنها تمنع من المعاصى ، وتنهى

عن الفحشاء والمنكر وتهدى إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به

وقيل : معناه أنه يكون أجرها نور لصاحبها يوم القيامة

وقيل : لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف ، وانشراح القلب ، ومكاشفات الحقائق ، لفراغ القلب فيهـا ، وإقباله إلى الله تعـالى بظاهره وباطنه

وقيل : معناه أنها تكون نوراً ظاهراً على وجهه يوم القيامة ، ويكون فى الدنيا أيضاً على وجهه البهاء ، بخلاف من لم يصل . »

هذه أقوالهم فى تفسير قوله صلى الله عليه وسلم «الصلاة نور» . . .

فماذا عند النظرية تضيفه إلى معارفنا ؟ !

تقول النظرية : الصلاة نور . . . حتماً وصدقاً وواقعاً . . .

كيف يحدث هذا ؟ !

عند ما يصلى المؤمن . . . الصلاة الصحيحة . . . التى استكملت خشوعها وحضورها . . .

إنما معنى هذا أنه اتجه بقلبه إلى ربه اتجاهاً خالصا . . . لا التفات فيه إلى شىء سواه . . .

معنى ذلك أن القلب يرق فى درجات النور . . .

أى يزداد نوراً . . .

فقوله « الصلاة نور » . . . حق . . .

هى حقاً « نور » . . .

نور يزداد به المؤمن نوراً على نور . . .

وحين نودى . . . موسى . . . عليه السلام . . . « أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي » . . . كان المراد : صل الصلاة التى ترفعك عندنا رفعاً . . .

أى : تزيدك يا موسى نورا على نور . . .

وحين قال صلى الله عليه وسلم : « قرة عينى فى الصلاة »

أى : سروره الأعظم يتحقق فى الصلاة . . .

إنما معنى ذلك فى ملكوت القلوب . . . أنه صلى الله عليه وسلم . . . يقبل فى صلاته على ربه إقبالا ليس كمثله إقبال بشر . . . أى أنه يرقى فى درجات النور رقياً لا يرقاه أحد ! ! !

تجد ذلك مكنوناً فى قوله تعالى : « . . . واسْجُدْ واقْتَرِب »

أى : اقترب قرباً عظيما . . . فى سجودك . . .

وحين قال تعالى :

« قَدْ أَفْلَحَ المؤمنونَ . الذين هُم فِي صلاتِهِم خاشِعُونَ . »

(سورة المؤمنون ١ و ٢)

إنما معنى ذلك فى ماسكوت القلوب . . .

قد فاز الذين يتجهون بقلوبهم إلينا فى صلاتهم فوزا عظيما . . .

الذين هم دائما فى صلواتهم كلها خاشعون . . .

خشعت قلوبهم فخشعت جوارحهم . . .

الذين هم قلوبهم حاضرة مع ربها . . . فهم فى حضرته تعالى . . .

فهم يزدادون فى صلاتهم نورا على نور . . .

ولو كان المقام مقام إفاضة . . . لأفضنا فيه . . . ولكنها مجرد إشارة . . .

تؤكد أن « الصلاة نور » حقاً . . . وأن ذلك يتلألأ أمرا طبيعياً . . . تحت إشعاعات النظرية . . .

بقى قوله : « والصبرُ ضياءٌ » . . .

وقد قالوا : « معناه الصبر المحبوب فى الشرع ، وهو الصبر على طاعة الله تعالى ، والصبر عن معصيته ، والصبر أيضاً على النائبات وأنواع المكاره فى الدنيا . . .

« والمراد أن الصبر محمود ، ولا يزال صاحبه مستضيئاً مهتدياً مستمرا على الصواب

« قال إبراهيم الخواص : الصبر هو الثبات على الكتاب والسنة

« وقال ابن عطاء : الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب

« وقال الدقاق : حقيقة الصبر أن لا يعترض على المقدور »

ذلك شىء مما قالوا . . .

فماذا عند النظرية ؟

الصبر ضياء . . . أى ضوء . . . أى إشعاع يضىء . . .

ما معنى هذا ؟ !

معناه أن القلب إذا صبر . . . إنما يثبت فى مقامات النور . . . ولا ينقلب إلى الظلمات . . .

فإذا واصل الصبر . . . وداوم عليه . . . كان معنى هذا أنه يرقى فى درجات النور . . .

أى يزداد نوراً . . .

أى : هناك إشعاع يضيء له السبيل!.. . هناك كشاف يكشف له الحقائق دائماً . . .

تجد ذلك مكنوناً فى قوله تعالى :

« . . . وَبَشِّرَ الصابرينَ . الذينَ إذا أصابَتْهُمْ مصيبة قالُوا إنَّا لِلهِ وإنَّا إليْهِ رَاجِعُونَ . أولئكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِّن رَبِّهِم ورحمة وأولئكَ همُ المُهْتَدُونَ . »

(سورة البقرة ١٥٥ ـ ١٥٧)

أى : تصب عليهم الصلوات صباً . . . والرحمة كذلك . . .

لماذا ؟ ! . . . لأن قلوبهم رغم آلامها . . . تواصل الاندفاع إلى أعلى . . . ترق فى درجات النور رقياً عظيما . . .

وكلما رق القلب إلى درجة أعلى ... أصاب من صلواته تعالى . . . ورحماته . . . أكثر فأكثر ! ! !

كيف يحدث هذا ؟!

فى حديث صحيح . . . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . يقول :

« مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ ، تَحْضُرُهُ صلاةٌ مَكتوبَةٌ

« فَيُحْسِنُ وَضُوءَهَا ، وَخُشُوعَهَا ، وَرُكُوعَهَا

« إلَّا كَانَتْ كفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِن الذنوبِ

« مَا لَمْ يُؤْتِ كبيرةً

« وذلِكَ الدهْرَ كُلَّهُ . »

(أخرجه مسلم)

يعجب المتعجبون : أيمكن هذا . . . بمثل هذه البساطة ؟ !

وإلى هؤلاء . . . نقدم إشعاعات النظرية فى الأمر . . .

إن قلب المؤمن . . . إذا أدى شيئاً من هذا . . . كان ذلك معناه أنه يتجه إلى ربه . . .

فإذا كان القلب فى الظلمات . . . بسبب معصية من المعاصى . . .

وحضرت الصلاة . . . فقزع إليها . . . فمعنى هـذا أن القلب قد خرج من الظلمات إلى النور . . .

فإذا خشع فى الصلاة . . . فمعنى ذلك أن القلب يرق فى مقامات النور . . .

فلا عجب . . . إنما هى رحمته تعالى . . .

هو بلغة النظرية خروج القلب من الظلمات إلى النور . . . وهذا هو معنى غفران ما تقدم من الذنوب . . .

ونفس هذه المعانى . . . التى تـكشفها النظرية فى بساطة . . .

يسجلها الأقدمون فيقولون :

« معناه أن الذنوب كلها تغفر إلا الـكبائر ، فإنها لا تغفر

« هذا المذكور فى الحديث من غفران الذنوب ما لم تؤت كبيرة هو مذهب أهل السنة ، وأن الـكبائر إنما تـكفرها التوبة أو رحمة الله تعالى وفضله

« وقوله صلى الله عليه وسلم : وذلك الدهر كله . . . أى ذلك مستمر فى جميع الأزمان .

« وقد يقال : إذا كفر الوضوء فماذا تسكفر الصلاة ، وإذا كفرت الصلاة فماذا تسكفر الجمعات ورمضان ، وكذلك صوم يوم عرفة كفارة سنتين ، ويوم عاشوراء كفارة سنة ، وإذا وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه ؟ !

« والجواب ما أجابه العلماء . . . أن كل واحد من هذه المذكورات صالح للتسكفير

« فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره

« وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ، ورفعت به درجات

« وإن صادفت كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغيرة رجونا أن يخفف من الكبائر . »

هذه عجائب فهمهم . . . أولئك العظماء . . .

وهو ما يطابق تماماً ما تسكشفه النظرية . . . كشفاً سريعاً جداً . . .

أن القلب حين يتوضأ المؤمن أو يصلى أو يصوم . . .

إنما يتجه إلى الله تعالى خالصاً . . . فإن كان فى الظلمات . . . خرج منها فوراً . . . إلى النور . . .

وإن كان فى النور حين بدأ شيئاً من هذه العبادات . . . رفع درجات فى مقامات النور . . .

فالخروج من الظلمات إلى النـــــور . . . هو غفران الذنوب التى تقدمت . . .

فتى دخل القلب مقامات النور . . . فمعناه أتوماتيكياً سقوط ظلماته . . . أى غفران ذنوبه . . .

وإذا كان لا ذنوب عليه . . . وكان أصلا فى النور . . . ازداد نوراً . . . أى ارتفع درجات إلى أعلى . . .

فتأمل . . . وتعجب . . . كيف ترسل إشعاعاتها . . . فتكشف الخفايا كشفاً ! ! !

ولعلك الآن . . . لا يأخذك العجب . . . حين تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَا مِن مُسْلِمٍ يتَوَضَّأُ ، فيُحْسِنُ وُضُوءَهُ

« ثم يقومُ فيُصَلِّى ركْعَتَيْنِ

« مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ ، وَوَجْهِهِ
« إلا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ . »

(أخرجه مسلم)

وإنما مفتاح الأمر كله هو قوله « مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ » . . .

ما معناها . . . وإن معناها لكبير ؟ !

معناها أن قلبه قد اتجه إلى الله اتجاهاً خالصاً . . .

ومتى صنع هذا خرج فوراً من الظلمات إلى النور . . .

ومتى دخل النور . . . فهو فى الجنة من الآن . . .

وهذا هو معنى : إلا وجبت له الجنة . . .

أى : إلا أصبح فى الجنة فوراً . . . من اللحظة التى فعل فيها هذا الذى فعل . . .

فانظر عجائبها . . . كيف تحل ألغاز الأمور حلا ؟ !

ولولا ضيق المقام . . . لقدمنا عشرات من الأحاديث الصحاح . . . فى هذا السبيل . . . كلها تؤكد النظرية تأكيداً ! ! !

وتحت إشعاعها . . . نقرأ قوله صلى الله عليه وسلم :

« إذا تَوضَّأَ العَبْدُ المسْلِمُ أو المُؤْمِنُ [1]

« فغَسَلَ وجْهَهُ ، خَرَجَ مِن وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نظَرَ إلَيْهَا بعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ ، أوْ مَعَ آخرِ قَطْرِ الماءِ

« فإذَا غَسَلَ يَدَيْهِ ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يداهُ ، مَعَ الماءِ ، أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ

« فَإذا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ ، مَعَ المَاءِ أوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ

« حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ . »

(أخرجه مسلم)

كيف يحدث هذا ؟ !

تحت إشعاعات النظرية . . . تتلألأ الحقائق فوراً . . .

إذا توضأ المؤمن . . . كان معنى هذا أن قلبه يتجه إلى الله . . .

ومتى اتجه القلب إلى الله . . . فقـــــد خرج من الظلمات إلى النور . . .

---

(١) شك من الراوى ، وكذا قوله مع الماء أو مع آخر قطر الماء . والمراد بالخطايا الصغائر دون الكبائر .

وهذا مكنون قوله صلى الله عليه وسلم : « حَتى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » ! ! !

نور الطاعات . . . يظهر مجسما . . .
يوم القيامة ؟!

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أَنْتُمُ الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ

« مِن إِسْبَاغِ الوُضُوءِ

« فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ فَلْيُطِلْ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : قال أهل اللغة : الغرة بياض في جبهة الفرس . . . والتحجيل بياض في يديها ورجليها .

« قال العلماء : سمى النور الذى يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرة وتحجيلا ، تشبيها بغرة الفرس . »

وهذه أعجب وأعجب ! ! !

إن ما كان مكنوناً فى الدنيا . . . أصبح يوم القيامة حقيقة منظورة . . .

إن مواضع الوضوء . . . الوجه . . . اليدين . . . الرجلين . . .

تأتى يوم القيامة تتلألأ نوراً . . . ظاهراً . . . يراه الجميع . . .

وهذا دليل جديد . . . من براهين النظرية ! ! !

كيف تخرج من الظلمات . . .
وترقى فى درجات النور ؟ !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ألا أدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو اللهُ بِهِ الخطايا ، ويرفَعُ بِهِ الدرجاتِ ؟

« قالوا : بَلَى يا رسولُ اللهِ

« قال : إسْبَاغُ الوضوءِ على المكارِهِ

« وكَثْرَةُ الخُطا إلَى المساجِدِ

« وانتظارُ الصلاةِ بعْدَ الصلاةِ

« فذلِكُمُ الرِّباطُ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : « محو الخطايا كناية عن غفرانها ، ويحتمل محوها من كتاب الحفظة ويكون دليلا على غفرانها

« ورفع الدرجات إعلاء المنازل فى الجنة

« وإسباغ الوضوء تمامه

« والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك

« وكثرة الخطا تكون ببعد الدار وكثرة التكرار

« فذلكم الرباط ، أى الرباط الممكن . . . لأنه حبس نفسه على هذه الطاعة . »

هذه أقاويل جميلة . . . تقرب المعنى إلى النفوس . . .

ولكن انظر إلى الحديث . . . تحت إشعاعاتها . . . يتلألأ نوراً . . . أمام ناظريك ! ! !

إن محو الخطايا . . . هو الخروج من الظلمات . . . لأن من

خرج من الظلمات إلى النور . . . فقد محيت خطاياه محواً تاماً . . . أوتوماتيسكياً . . .

ورفع الدرجات . . . هو رفعها فوراً . . . فى مقامات النور . . .

لأنه عبارة عن قلب . . . دائم الطاعـة . . . يتقلب من وضوء فى ظروف قاسية . . . إلى انتظار الصلاة مبكراً . . . مشتغل دائماً بالتقرب . . .

مثل هـذا يخرج من ظلماته . . . ويرق فى درجات النور سريعاً ! ! !

لمـاذا يهرب الشيطان ؟ !

قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« إذا نُودِيَ للصلاةِ أدْبَرَ الشَّيطَانُ ، لَهُ ضُرَاطٌ

« حَتّى لا يَسْمَعَ التَأذِينَ

« فإذا قُضِيَ التأذِينُ أقْبَلَ

« حَتّى إذا ثُوِّبَ بالصلاةِ أدْبَرَ

« حتى إذا قُضِيَ التثويبُ أقبلَ

حتى يَخْطُرَ بينَ المرْءِ ونفسِهِ

« يقولُ لهُ : اذكُرْ كذا ، واذكُرْ كذا

« لِمَا لَمْ يكُنْ يَذْكُرُ مِن قَبْلُ

« حتى يظَلَّ الرجُلُ ما يَدْرِي كَمْ صَلّى . »

(أخرجه مسلم)

لماذا يفر الشيطان عند ارتفاع صوت المؤذن بالنداء للصلاة ؟

ثم لماذا يفر ثانية عند التثويب ، عند إقامة الصلاة ؟

لأن هاتين الحالتين . . . تكون فيهما القلوب . . . قلوب المصلين شديدة الاتجاه إلى الله . . .

تكون في مقامات النور . . . ولا سبيل للشيطان إلى قلوب في تلك المقامات . . .

وإنما سبيله في حالات الغفلة . . . فيبدأ هجومه على القلوب . . . ويذكرها بأمور . . . حتى ما يدري الرجل كم صلى ؟ ! !

أقرب ما يكون العبد . . .

من ربه . . . وهو ساجد ؟!

« قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« أقْرَبُ ما يكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وهو ساجِدٌ

« فَأَكْثِرُوا الدُّعاءَ . »

(أخرجه مسلم)

لماذا هذا ؟!

لأن القلب فى حالة السجود . . . يكون متجهاً إلى الله اتجاهاً تاماً . . .

فهو يرتفع فى مقامات النور ارتفاعا سريعا . . .

« فأكثروا الدعاء » أكثروا التوجه إلى الله . . . يستجب لكم فوراً . . . يزدكم نوراً على نور . . .

كلما دعوتموه فى السجود . . . استجاب لكم . . . أى رفعكم درجات فى النور . . .

فالدعاء فى هــذه الحال . . . هو المعراج الخاطف للصعود إلى أعلى ! ! !

تجد ذلك مكنونا فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلهِ

« فَإنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إلا رَفَعَكَ اللهُ بها درجةً

« وحَطَّ عَنكَ خَطِيئَةً . »

(أخرجه مسلم)

وهذا حق . . .

ما اتجه القلب إلى الله... فى أتم حالات الاتجاه ... وهى السجود ...

إلا خرج من ظلماته فوراً . . . وهذا هو إسقاط الخطيئة . . .

ودخل النور . . . وجعل يرق فى درجاته . . . وهذا هو مكنون قوله « إلا رفعك الله بها درجة » . . . أى درجة فى مقامات النور ! ! !

لأن السجود غاية التواضع والعبودية لله تعالى ، وفيه تمكين أعز أعضاء الإنسان وأعلاها وهو وجهه من التراب الذى يداس ويمتهن ! ! !

النظرية مفتاح عجيب . . .
لكثير من الأحاديث ؟!

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« مَن تَطَهَّرَ في بَيْتِهِ

« ثُمَّ مَشَى إلى بَيْتٍ مِن بُيُوتِ اللهِ

« لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِن فرائِضِ اللهِ

« كانَتْ خَطْوَتَاهُ ، إحْداهُما تَحُطُّ خَطِيئَةً

« والأُخْرَى ترفَعُ دَرَجَةً . »

(أخرجه مسلم)

ما معنى هذا ؟ !

معناه أن القلب منذ بدأ صاحبه يتوضأ بمنزله . . . وأثناء سيره في الشارع إلى المسجد . . .

كان متجها إلى الله . . . فخرج بذلك من ظلماته . . . ودخل إلى النور . . . وجعل يرقى فيها . . .

وهذا هو حط الخطايا . . . أى الظلمات . . . ورفع الدرجات . . .

أى الرق فى مقامات النور . . .

ومثل قوله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ غَدَا إلى المَسْجِدِ

« أو رَاحَ

« أَعَدَّ اللهُ لهُ فى الجنةِ نُزُلًا

« كُلَّما غَدَا أو راحَ »

(أخرجه مسلم)

إن قلبه كان متجها إلى الله . . . وهو يغدو أو يروح . . .

فهو فى مقامات النور . . . فى منازل الجنة . . . وهو فى الدنيا . . .

فضلا عن الجنة الأخرى . . . يوم القيامة ! ! !

أعجب عجائب النظرية ؟ !

عن ابن عباس . . . يصف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فجَعَلَ يقولُ فى صلاتِهِ ، أو فى سجودِهِ

« اللّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً

« وفى سَمْعِي نُوراً

« وفى بَصَرِي نُوراً

« وعَن يَمِينِي نُوراً

« وعَن شِمَالِي نُوراً

« وأمَامِي نُوراً

« وخَلْفِي نُوراً

« وفَوْقِي نُوراً

« وتَحْتِي نُوراً

« واجْعَلْ لِي نُورا

« أو قال : واجْعَلْنِي نُوراً . »

(أخرجه مسلم)

وفى رواية : واجْعَلْنِي نُورا . . . (وَلَمْ يَشُكَّ)

وفى رواية أخرى . . .

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« اللهمَّ اجعَلْ لى فى قلْبِي نُورا

« وفى لسانِي نورا

« وفى سَمْعِي نورا

« وفى بصَرِى نُورا

« ومِن فوْقِي نُورا

« ومِن تحْتِي نورا

« وعَن يَمِينِى نُورا

« وعَن شِمَالِي نورا

« ومن بَيْنَ يدَىَّ نورا

« ومِنْ خلْفِي نورا

« واجعَلْ فى نفْسِي نورا

« وأعْظِمْ لِي نورا . »

(أخرجه مسلم)

ويعتبر هذا الحديث برواياته . . . من أعجب العجب فى براهين النظرية . . .

رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . .

أعلى عقول البشر علماً . . . وفهماً . . . وإدراكا . . .

يطلب إلى ربه شيئاً عجبا . . .

يطلب إليه أن يحقق فى شخصيته صلى الله عليه وسلم . . .

أعلى صفات الإنسان . . .

يبدأ سؤاله : « اللهم اجعل فى قلبى نورا »

ما معنى هذا تحت إشعاع النظرية ؟ !

معناه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن يريد قلبه نورا . . .

أى : يرفعه إلى أعلى درجات . . . مقام النور . . .

ثم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . تفاصيل العطاء . . . لجميع الأعضاء

فيقول : « وفى سمعى نورا » أى : اجعل فى سمعى نورا . . .

« وفى بصرى نورا » . . . اجعل فى بصرى نورا . . .

ثم يسأل أعظم السائلين ربهم أن يحاط بالنور من جميع الجهات : فيقول : وعن يمينى نورا ، وعن شمالى نورا ، وأمامى نورا ، وخلفى نورا ، وفوق نورا ، وتحتى نورا ! ! !

إن محمدا . . . صلى الله عليه وسلم . . . يطلب حقيقته . . .

فهو نور . . . ويطلب إلى الله تعالى . . . أن يزيده نورا . . .

ولذلك كان ختام الدعاء الشريف : « واجعلنى نورا » ! ! !

فماذا فى هذا الحديث العجيب ؟ !

فيه أن أرق انسان من أهل النـــــور . . . يسأل ربه أن يزيده نورا . . . أن يرفعه درجات . . . فى مقامات النور . . .

وإذا علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

إذا دعا ربه استجاب له . . .

كان معنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم كلما دعا دعوة من هؤلاء الدعوات . . .

ارتفع درجات ودرجات . . . فى مقامات النور . . .

وازداد قرباً وقرباً ... منه تعالى ...

وهذا الحديث ... من أعلى وأغلى أحاديث براهين النظرية الكبرى ...

يؤكد تأكيدا ... لا يدع مجالا للشك ...

أن القلب إذا آمن بالله ... دخل مقامات النور ...

فإذا ما كان القلب ... فى مقامات النور ... كان السمع فى النور ... والبصر فى النور ...

وعن اليمين نوراً ... وعن الشمال نوراً ... وأمامه نورا ... وخلفه نورا ... وفوقه نورا ... وتحته نورا ...

وإذا ثبت هذا لأهل النور ...

ثبت العكس لأهل الظلام ...

كانت قلوبهم ظلاماً ... وأبصارهم ظلاماً ... وسمعهم ظلاما ... ومن حولهم ظلمات ... أو كانوا هم أنفسهم ظلاما ...

فلله ما أعجب هذا الحديث !!!

وأعجب منه ... أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول

إذا قام إلى الصلاةِ مِن جَوْفِ الليْل :

« اللّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنتَ نُورُ السماواتِ والأرضِ

« ولكَ الحمدُ أنتَ قَيّامُ السماواتِ والأرضِ

« ولكَ الحمدُ أنتَ ربُّ السماواتِ والأرضِ ، ومن فيهنَّ . . . »

(أخرجه مسلم)

إن قلبه صلى الله عليه وسلم . . . وهو فى أعلى مقامات النور . . .

يهتف : أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ! ! !

أنت منورها وخالق نورها ! ! !

ولكن ينظر إلى قلوبكم ؟ !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنّ الله لا ينظرُ إلى أجسادِكُمْ ، ولا إلى صُوَرِكُمْ

« ولكِن يَنْظرُ إلى قلوبِكُمْ

« وأشارَ بأصَابِعِهِ إلى صَدْرِهِ . »

(أخرجه مسلم)

لماذا يكون نظر الرب إلى القلوب وحدها ؟ !

لأن القلوب هي الجهاز الحساس الشفاف الذي يسجل تسجيلا دقيقاً حقيقة اتجاه الإنسان . . . إما إلى النور . . . وإما إلى الظلام . . .

بمجرد النظر إلى القلب . . . تبدو حقيقة الإنسان فورا !

المصائب . . . مكنون فيها . . . نعمة كبرى ؟!

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما يُصِيبُ المؤْمِنَ ، مِن شوْكَةٍ ، فما فوقها

« إلا رَفَعَهُ اللهُ بها درَجةً

« أو حَطَّ عنهُ بها خطِيئةً . »

(أخرجه مسلم)

ما معنى هذا تحت إشعاعات النظرية ؟ !

معناه أن المؤمن إذا كان عاصياً . . . أي قلبه في الظلمات . . . محيت عنه بالمصيبة خطيئة . . .

لأنه حين تنزل به المصيبة . . . يلتجىء إلى الله . . .

أى أن قلبه يخرج من الظلمات إلى النور . . . وهذا هو محو الخطيئة . . .

وإذا كان عند نزول المصيبة . . . فى مقامات النور . . . رفعه الله بها درجة . . . أى زاده نورا . . .

وهذه قاعدة عامة . . . فى حساب أجر المؤمن إذا نزلت به مصيبة ما ! ! !

إن الظلم ظلمات ؟ !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيامةِ . »

(أخرجه مسلم)

وليس الظلم وحده هو الظلمات . . .

بل كل معصية تورث القلب ظلمة . . . وإنما نص على الظلم . . . لشدة ظلامه . . .

وإنما لا يبدو ذلك فى الدنيا للعيون . . . ولكن يوم القيامة يبدو . . . ويشهده الأشهاد . . .

فقلب الظالم . . . فى ظلمات . . .

كما أن قلب المؤمن العادل . . . الذى لا يظلم . . . فى أنوار . . .

كيف ترتفع فى مقامات النور ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« . . . وما تواضَعَ أحَدٌ لِلّهِ

إلا رَفَعَهُ اللهُ . »

(أخرجه مسلم)

لماذا يحدث هذا ؟ !

لأن القلب حين يتواضع لله . . . إنما يتجه إليه تعالى اتجاهاً خالصاً . . .

فهو يرقى أوتوماتيكياً إلى أعلى . . . فهو يرتفع فى مقامات النور . . .

فما أعظم القلوب المنكسرة لربها ! ! !

لو أقسم على الله لأبره ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« رُبَّ أشعث ، مدفوعٍ بالأبواب

« لَوْ أقسم عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : الأشعث : المابد الشعر المغبر

مدفوع بالأبواب : أى لا قدر له عند الناس فهم يدفعونه عن أبوابهم ويطردونه عنهم احتقاراً له

« لو أقسم على الله لأبره » أى : لو حلف على وقوع شىء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله وصيانته من الحنث فى يمينه ، وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى ، وإن كان هذا حقيراً عند الناس » ! !

وهذا أنموذج لنوع من قلوب أهل النور . . .

رجل بسيط . . . لا يثير احترام الناظرين . . .

وليس له من الأوضاع الاجتماعية . . . ما يدفعهم إلى احترامه . . .

ولكن قلبه بلغ درجة عالية جداً عند الله . . .

درجة عليا من مقامات النور . . .

درجة أعطاه الله فيها عطاء عجبا ! ! !

لو أقسم عليه فى شىء . . . استجاب له فيما أقسم عليه سبحانه ! ! !

ولا تعجب من عطاء الله . . . فإن الإمداد على قدر الاستعداد . . .

إن الله وحده هو الذى يعلم حقيقة ذلك القلب . . . ولذلك أعطاه ما أعطاه ! ! !

أرواح أهل النور . . .
وأرواح أهل الظلام ؟ !

« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ

« فما تعارَفَ منها ائْتَلَفَ

« وما تناكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : لأنها خلقت مجتمعة ، ثم فرقت فى أجسادها

« وكانت الأرواح قسمين متقابلين ، فإذا تلاقت الأجساد فى الدنيا ائتلفت واختلفت بحسب ما خلقت عليه

« فيميل الأخيار إلى الأخيار ، والأشرار إلى الأشرار . »

كيف يحدث هذا ؟ !

تقول النظرية : إن قلوب أهل النور لا تتوافق . . . ولا تنسجم إلا مع القلوب التى فى مقامات النور . . .

والعكس صحيح :

قلوب أهل الظلام . . . لا تنسجم إلا مع القلوب التى فى دركات الظلام . . .

قال تعالى :

« الخبيثاتُ للخَبيثينَ ، والخبيثُونَ للخَبيثاتِ ، والطيِّباتُ للطّيِّبينَ ، والطيِّبُونَ للطيِّباتِ . . . »

(سورة النور ٢٦).

سؤال خطير ؟!

« جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

« فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، كَيْفَ ترَى فى رجُلٍ أحَبَّ قَوْمًا ،
ولَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ ؟

« قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مَعَ مَنْ أحَبَّ . »
(أخرجه مسلم)

وتحت إشعاعاتها . . . تتلألأ حقائقها العُلَى . . .

رجل يسأل عن مصير الذى يحب قوماً فى الدنيا وليس من مقامهم
فى الإيمان . . .

فكان الجواب الخالد : المرءُ مع مَن أحَبَّ !!!

أى : ما دام الرجل من أهل النور . . . ويحب أئمة أهل النور . . .

فهو معهم فى مقامات النور . . .

وإن كان كل منهم فى درجته . . . من مقامات النور . . .
التى رفعه الله إليها . . .

فالمؤمن يكون فى مقامات النور . . .

ولـكن ليس فى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .
وإنما فى درجته هو . . .
فهم جميعاً فى النور . . . ولـكنهم درجات ! ! !

القلوب تتقلب آوتوماتيكياً ؟ !

« يقول رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :
« إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا
« بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أصابعِ الرحمن
« كَقَلْبٍ وَاحِدٍ
« يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يشاءُ
« ثم قالَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : اللهُمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنا على طاعَتِكَ . »

(أخرجه مسلم)

وهذا حديث عجيب . . . أثار حيرة الأقدمين . . .

حتى قالوا : هذا من أحاديث الصفات ، وفيها القولان . . .

أحدها الإيمان بها من غير تعرض لتأويل ولا لمعرفة لمعنى ، بل يؤمن بأنها حق ، وأن ظاهرها غير مراد ، قال الله تعالى (ليس كمثله شيء)

« والثانى . . . يتأول بحسب ما يليق بها . . . أى أنه تعالى متصرف فى قلوب عباده وغيرها كيف شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما أراده كما لا يمتنع على الإنسان ما كان بين إصبعيه » ! ! !

فماذا يمكن لأشعة النظرية . . . أن تكشفه لنا من عجائب الحديث ؟ !

أوقد شعاعها . . . تتلألأ الحقيقة العظمى للعيون . . .

أن الله تعالى خلق جميع القلوب . . . ولها إرادة حرة . . . تختار ما تشاء . . .

وجعل من النواميس ما يحقق نتيجة كل اختيار أوتوماتيكياً . . .

فإذا اختار القلب الاتجاه إلى الله . . . خرج من الظلمات إلى النور فوراً . . .

وإذا اختار الاتجاه إلى غير الله . . . خرج من النور إلى الظلمات فوراً . . .

نظام أوتوماتيكي . . . يسري . . . في بساطة . . . وسهولة . . .

وهذا هو مكنون قوله : « إن قلوب بني آدم كلَّها . . . كقَلْب واحدٍ »

أي أن هناك ناموساً عاماً . . .موحداً . . .يسري على كل قلب . . . أوتوماتيكياً . . .

هنالك قانون طبيعي واحد . . . بلغة العلم الحديث . . . ينتظم عليه كل قلب . . .

كن قائداً من قادة النور ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«مَنْ دَعَا إلى هُدًى ، كانَ لهُ مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أجُورِ مَن تَبِعَهُ ، لا يَنقُصُ ذلك مِنْ أجورِهِمْ شيْئاً

« ومَنْ دَعَا إلَى ضَلَالَةٍ ، كانَ عَلَيْهِ مِنَ الإثْمِ ، مِثْلُ آثامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لا يَنقُصُ ذلكَ مِنْ آثامِهِمْ شيْئاً . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : « من دعا إلى هـدى كان له مثل أجور متابعيه . . .
أو إلى ضلالة كان عليه مثل آثام تابعيه . . . سواء كان ذلك الهدى
والضلالة هو الذى ابتدأه . . . أم كان مسبوقاً إليه . . . وسواء كان
ذلك تعليم علم أو عبادة أو أدب أو غير ذلك . . . وسواء كان العمل
فى حياته أو بعد موته . »

هذا حديث رهيب عجيب ! ! !

فماذا عند النظرية من إضافات إلى مفاهيم معناه العجيب ؟ !

فيها أن القلب إذا قاد القلوب إلى مقامات النور . . . رفعه الله
تعالى فوق هذه القلوب . . . درجات . . .

والعـكس صحيح . . .

إذا قاد القلوب إلى دركات الظلمات . . . خفضه الله تعالى . . .
تحت هذه القلوب . . . دركات . . .

أى أنه يظل إماماً فى كلتا الحالتين . . .

فى النور . . . يرتفع بمثل أنوار تابعيه . . .

وفى الظلام . . . يهوى بمثل ظلمات تابعيه ! ! !

أنا عند ظن عبدى بى ؟!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يَقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ :

« أنا عِندَ ظنِّ عَبْدِى بى

« وأنا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى

« إن ذَكَرَنِى فى نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فى نَفْسِى

« وإنْ ذَكَرَنِى فى مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فى مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنهُمْ

« وإنْ تَقَربَ مِنِّى شِبْرًا ، تَقَربْتُ إليْهِ ذراعًا

« وإنْ تَقَربَ إلىَّ ذِراعًا ، تَقَربْتُ منهُ باعًا

« وإنْ أتانِى يَمْشِى ، أتيْتُهُ هَرْوَلَةً . »

(أخرجه مسلم)

قالوا :

« أنا عند ظن عبدى بى » بالغفران له إذا استغفر ، والقبول إذا تاب ، والإجابة إذا دعا ، والكفاية إذا طلب الكفاية

أو : المراد به الرجاء ، وتأميل العفو . . . وهذا أصح . . .

وتقول النظرية الجديدة :

إذا ظن العبد بربه خيراً فخيرا . . .

أى إذا اتجه القلب إلى ربه . . . يريده وحده . . . وجده فوراً . . .
أسرع مما يتصور . . .

أى : دخل مقامات النور . . . وخرج من الظلمات فورا . . .

ومتى دخل النور . . . فالله معه فى تفكيره وتدبيره وأحواله كلها . . . وهذا يفسر العجائب القادمة كلها . . . إن شاء الله . . .

ولذلك قال سبحانه :

« وأنا معه » ؟ ! !

وأنا معه ؟ ! ! ! !

تأمل . . . كيف كشفت إشعاعاتها المراد كشفاً ؟ ! !

وأنا معه . . . فوراً . . . بمجرد اتجاه قلبــــه إلىّ . . . يريدنى وحدى . . .

« حين يذكرنى » حين يتجه قلبه إلىّ اتجاهاً حقيقياً . . .

إنى أخرجه فوراً من الظلمات . . . وأدخله النور فورا . . .

« إن ذكرنى فى نفسه » إن ذكرنى وهو فى مقامات النور . . .
فى قلبه . . .

« ذكرته فى نفسى » جازيته فوراً بمثل ما يعمل . . .

قالوا : أى إذا ذكرنى خالياً ، أثابه الله وجازاه عما عمل مما لا يطلع عليه أحد . . .

وتقول النظرية :

رفعته فوراً فى مقامات النور رفعاً عظيما . . .

« وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ هم خير منهم » فى طائفة خير من البشر . . . فى الملائكة . . . الذين هم فى مقامات النور جميعاً . . .

ثم تفتح النظرية عجائب أخرى . . .

« وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة »

قالوا : هـذا الحديث من أحاديث الصفات ، ويستحيل إرادة ظاهره . . . ومعناه : من تقرب إلى بطاعتى تقربت إليه برحمتى والتوفيق والإعانة . . . وإن زاد زدت

« فإن أتانى يمشى وأسرع فى طاعتى أتيته هروله أى : صببت عليه

الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشى الكثير فى الوصول إلى المقصود ، والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه . »

وتقول النظرية :

لعل المراد من . . . « وإن تقرب منى شبراً تقربت إليه ذراعا » من اتجه قلبه إلينا صادقاً ولو لحظة . . . أخرجناه فوراً من الظلمات إلى النور . . .

« وإن تقرب إلىّ ذراعا تقربت منه باعاً » ومن اتجه قلبه إلينا أكثر قليلا . . . زدناه نورا فورا . . . أى جعلناه أقرب إلينا فى مقامات النور . . . أى رفعناه درجات فيها . . .

« وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » وإن جاءنى فى مقامات النور . . يمشى فيها إلينا . . . رفعناه فيها رفعاً عظيما . . . وقربناه قرباً فوق ما يتصور . . .

ومكنون ذلك كله . . . هو فى صدق التوجه . . . فى إرادة وجهه تعالى . . .

إن القلب إذا اتجه إلى الله . . . لا يشرك به شيئا . . . خرج من الظلمات إلى النور فورا . . .

تجد ذلك مكنونا فى هذا الحديث العجيب :

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« يَقول اللهُ عزّ وجَلّ :

« مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها ، وأزيدُ

« ومَنْ جاءَ بالسيئةِ فجزاؤُهُ سيئةٌ مثلُها ، أوْ أغفِرُ

« ومَن تقَربَ مِنّى شِبْرًا ، تَقربْتُ منهُ ذراعا

« ومَنْ تقرّبَ مِنّى ذراعا تَقربْتُ مِنْهُ باعا

« ومَنْ أتانى يَمْشِى أتَيْتُهُ هرْوَلَةً

« ومَن لَقِيَنِى بقُرابِ الأرْضِ خَطِيئةً ، لا يُشْرِكُ بِى شيْئا ، لَقِيتُهُ بِمِثْلِها مَغْفِرَةً . »

(أخرجه مسلم)

«ومن لقينى بقراب الأرض خطيئة» أى بملء الأرض ذنوبا . . .

ما معنى هذا ؟ !

معناه أن الإنسان لو فرض وكانت ذنوبه . . . ملء الأرض . . .

ثم اتجه قلبه الى الله وحده . . . فى صدق . . . وتوجه حقيقى . . .

وهذا هو معنى :

« لا يُشْرِكُ بِى شيئا » أى لا يتجه قلبه إلى شىء سواى . . .

إن القلب يتجه إلى ربه . . . لا يلتفت إلى شىء . . . ولا يركن إلى شىء . . .

ماذا يحدث ؟ !

« لقيتُهُ بمثلها مغفرةً » . . . أى أخرجه فوراً . . . من الظلمات إلى النور . . .

ومتى دخل القلب مقامات النـــــور . . . فقد سقطت ذنوبه أتوماتيكياً ! ! !

فانظر . . . كيف تفتح النظرية عجائب النصوص . . . فتحاً مبيناً ؟ !

ويعتبر قوله عز وجل : « ومَنْ لَقِيَنِى بقُرَابِ الأرْضِ خطيئةً ، لا يُشْرِكُ بِى شَيْئاً ، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً » . . . من أعلى وأغلى . . . البراهين المقدسة . . . التى تؤكد النظرية . . . وتوثقها توثيقاً عظيماً ! ! !

« ومَن لقينى » ومن اتجه إلىّ بقلبه . . . ومن رجع إلىّ . . .

« لا يشرك بى شيئا » يريدنى أنا وحدى . . .

« لقيته بمثلها مغفرة » أخرجته فوراً من الظلمات . . . من الخطايا . . . إلى النور . . . إلى المغفرة ! ! !

كيف تسقط خطاياك ؟ !

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« . . . مَن قالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ

« فى يَوْمٍ ، مائَةَ مَرَّةٍ

« حُطَّت خَطَايَاهُ

« وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : معنى التسبيح التنزيه عما لا يليق به سبحانه وتعالى من الشريك والولد والصاحبة والنقائص مطلقا ، وسمات الحدوث مطلقا . .

والآن . . . انظر إلى الحديث تحت إشعاع النظرية . . . تبصر منه العجائب ! ! !

« من قال سبحان الله وبحمده » من اتجه قلبه إلى الله . . . اتجاهاً حقيقياً . . . إرادة تسبيحه سبحانه

«فى يوم مائة مرة» المراد توجيه الإنسان نحو قضاء فترة من الزمن فى ذكره تعالى . . .

فماذا يحدث عملياً للقلب ؟ !

الذى يحدث أن الإنسان عندما يريد التوجه إلى ربه . . . إنما يبدأ قلبه فى الخروج من الظلمات . . .

وكلما ذكر الله مرة بقلبه « سبحان الله وبحمده » قطع القلب مرحلة من مراحل الخروج من الظلمات . . . وهكذا . . . حتى يتم خروجه من جميع الظلمات . . . ويبدأ فى الدخول إلى النور . . .

ومتى دخل مقامات النور . . . بدأ يرقى فى درجاتها . . .

وهذا هو مكنون قوله : « حُطَّتْ خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » سقطت جميع معاصيه . . . لأن الخروج من الظلمات معناه أوتوماتيكياً سقوط الذنوب . . لأن الذنوب ظلمات . . . ومتى أصبح

القلب فى النور . . . فمعنى هذا أن ذنوبه قد سقطت كلها ! ! !

لا إله إلا الله . . . كم فى هذه النظرية من عطايا وهدايا ! ! !

إنه ليغان على قلبي !؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي

« وإِنِّى لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فى اليومِ مائَةَ مرةٍ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : الغين والغيم بمعنى . . . والمراد هنا ما يتغشى القلب

« والمراد الفترات والغفلات عن الذكر الذى كان شأنه الدوام عليه ، فإذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه

« وقيل : هو همه بسبب أمته وما أطلع عليه من أحوالها بعده فيستغفر لهم

« وقيل : سببه اشتغاله بالنظر فى مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك ، فيشتغل بذلك من عظيم

مقامه ، فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته ، وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال

« فهى نزول عن عالى درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ، ومشاهدته ، ومراقبته ، وفراغه مما سواه ، فيستغفر لذلك

« وقيل : يحتمل أن هذا الغين هو السكينة التى تغشى قلبه لقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) ويكون استغفاره إظهاراً للعبودية والافتقار وملازمة الخشوع ، وشكراً لما أولاه

« وقد قيل : خوف الأنبياء والملائكة خوف إعظام وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى

« وقيل : يحتمل أن هذا الغين حال خشية وإعظام يغشى القلب ، ويكون استغفاره شكراً

« وقيل : هو شيء يعترى القلوب الصافية مما تتحدث به النفس فهوشها . »

هذه مفاهيم . . . جميلة . . . جليلة . . . قالوها فى الحديث . . .

ولكن انظر الى الحديث مرة أخرى . . . تحت اشعاع النظرية . . . تظهر من مكنوناته عجائب أخرى !!!

« إنه لَيُغَانُ على قلبي » إن هناك غمامات. . . تبدو من بعيد. . . لا تستطيع الاقتراب من قلبه الشريف . . .

غمام . . . عارض . . . هو انشغالات التطبيق . . . فى هذه الحياة . . . إنهـا طاعات . . . ولـكن بالنسبة إلى مقامه تعتبر دون الأولى ! ! !

وفوراً . . . يرق صلى الله عليه وسلم . . . إلى ربه . . . ويشق هذه الأمور شقا . . .

« وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة » . . .

واستغفاره صلى الله عليه وسـلم . . . ليس عن ذنب . . . وحاشاه . . .

وإنما مكنون استغفاره صلى الله عليه وسلم . . .

أن قلبه العظيم . . . يندفع إلى أعلى فى أعلى مقامات النور . . . اندفاعاً جديداً . . .

وتجد ذلك مكنوناً فى قوله صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناسُ ، تُوبُوا إلى اللهِ ، فإنِّى أتُوبُ فى اليوْمِ إليْهِ مائَةَ مرَّةٍ . »

(أخرجه مسلم)

« فإنى أتوب » فإنى أرجع إلى الله . . .

« فى اليوم » كل يوم

« إليْهِ » إلى ربى سبحانه وحده . . .

« مائة مرة » يرتفع صلى الله عليه وسلم كل مرة درجات ودرجات . . .

فاستغفاره صلى الله عليه وسلم . . . ليس عن ذنب . . .

وتوبته . . . ليست رجوعا عن ذنب . . .

كلا وإنما هو دائما فى أعلى مقامات النور . . . ودائما أقرب الخلق إلى ربه . . .

وإنما استغفاره . . . هو لإحساسه أنه لا يستطيع أداء حق الله عليه مهما تقرب . . .

وتوبته هو زيادة الاندفاع إليه تعالى . . .

وتلك مقاماته العُلَى . . .

وإنما يتنزل إلى عقولنا . . . تشريعاً . . . وتعليما ! ! !

اللهم اغسل خطاياى ! ؟

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم :

« . . . اللهُمَّ اغْسِلْ خطاياىَ بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ

« ونَقِّ قَلْبِي مِنَ الخطايا ، كما نَقَّيْتَ الثوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ . . . »

(أخرجه مسلم)

هنالك إذاً قاب . . . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل ربه أن ينقيه من الخطايا . . . كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس . . .

يسأل ربه أن يكون قلبه شفافا . . . على أعلى درجات الشفافية . . .

أن يكون نوراً . . . لا ظلمة فيه . . . كما يكون الثوب الأبيض بياضا لا سواد فيه ! ! !

وزكها . . . أنت خير من زكاها ؟ !

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم :

« اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاها

« وَزَكِّها أنتَ خَيْرُ مَن زَكَّاها

« أنتَ وليُّها وَمَوْلَاها

« اللهمَّ إنِّى أعوذُ بِكَ مِن عِلْمٍ لا يَنفَعُ ، ومِن قَلْبٍ لا يَخْشَعُ ، وَمِن نَفْسٍ لا تَشْبَعُ ، ومِن دَعْوَةٍ لا يُسْتَجَابُ لها . »

(أخرجه مسلم)

تحت إشعاع النظرية . . . تتلألأ من الدعاء . . . منطقتان . . .

المنطقة الأولى . . . « اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها »

« اللهم آت نفسى تقواها » أى : احجزها عن الخروج من النور إلى الظلمات مرة أخرى . . .

« وزكها أنت خير من زكاها » ورقها أنت خير من رقاها . . . وارفعها فى مقامات النور درجات ودرجات . . .

قالوا : لفظة خير ليست للتفضيل ، بل معناها لا مزكى لها إلا أنت ، كما قال أنت وليها

« أنت وليها » أنت وحدك وليها . . . الذى يتولى أمرها . . .

والمنطقة الثانية . . . « اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ». . .

هذه استعاذة من أحوال أهل الظلام . . .

« من علم لا ينفع » وهو العلم الذى لا يقود إلى معرفة الله . . . إلى الخروج من الظلمات إلى النور . . .

« ومن قلب لا يخشع » وهى قلوب أهل الظلام . . . لا تخشع ولا تنقاد لربها . . . بل هى نافرة عنه . . .

« ومن نفس لا تشبع » وهى نفوس أهل الظلام . . . لا تشبع من شهوة . . .

« ومن دعوة لا يستجاب لها » وهى دعوات أهل الظلام ... لأنها تصدر عن قلوب غير متجهة إلى الله . . . « وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال » ! ! !

ما معنى : إن الحسنات يذهبن السيئات ؟ !

ومن أعجب العجب ... فى براهين النظرية المباركة ... تلك الأقصوصة ...

« جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم

« فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، إنى عالجْتُ امرأةً ، فى أقْصَى المدينةِ

« وإنى أصَبْتُ مِنها ، ما دُونَ أنْ أمَسَّها

« فأنا هذا ، فاقضِ فِىَّ ما شِئْتَ

« فقال له عُمَرُ : لقَدْ سَتَرَكَ اللهُ ، لَوْ سَتَرْتَ نفسَكَ ؟

« فَلَمْ يَرُدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم شيئاً

« فقامَ الرجلُ ، فانطَلَقَ ، فأتْبَعَهُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا دَعَاهُ

« و تلَا عَلَيْهِ هذه الآية (أَقمِ الصلاةَ طَرَفَى النهارِ وزُلَفًا مِنَ الليْل إنَّ الحسنَاتِ يُذهِبْنَ السيئاتِ ذلك ذِكْرَى للذاكرينَ)

« فقال رجُلٌ مِنَ القَوْمِ : يا نبي اللهِ ، هذا له خاصةً ؟

« قالَ : بَلْ للناسِ كافةً . »

(أخرجه مسلم)

وفى رواية أخرى . . .

« جاءَ رجُلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم

« فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، أصَبْتُ حَدًّا ، فأقِمْهُ عَلَيَّ ؟

« وحَضَرَتِ الصلاةُ

« فصَلَّى مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

« فلمّا قَضَى الصلاةَ ، قال : يا رسولَ اللهِ ، إنى أصَبْتُ حدًّا ، فأقِمْ فِيَّ كتابَ الله

« قالَ : هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنا ؟

« قالَ : نَعَمْ

« قال : قَدْ غُفِرَ لكَ . »

(أخرجه مسلم)

قالوا : « هذا الحد معناه معصية من المعاصى الموجبة للتعزير

وهى هنا من الصغائر لأنها كفرتها الصلاة ، ولو كانت كبيرة موجبة لحد أو غير موجبة له لم تسقط بالصلاة »

وتحت إشعاع النظرية . . . تتلألأ عجائب من القصة أخرى ! ! !

إن قلب الرجل حين جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

بعد ارتكابه الذنب . . . يطلب توقيع العقوبة عليه . . .

معناه أنه قلب. . .قد تاب إلى الله تعالى. . .وندم على ما فعل. . .

وآية ذلك أنه جاء يطلب العقوبة . . .

أى أن قلبه قد خرج من الظلمات . . . إلى النور . . .

ثم حضرت الصلاة . . . وصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . . .

فمعنى هذا أن قلبه ارتقى فى مقامات النور . . . رقياً عظيما . . .

ولذلك قال له صلى الله عليه وسلم : هل حضرت الصلاة معنا ؟

قال : نعم

قال : قد غُفِرَ لكَ ! ! !

إن ذنوبه قد تساقطت كلها . . . إن قلبه قد خرج من الظلمات إلى النور ! ! !

« قالوا : (إنَّ الحسناتِ يُذْهِبْنَ السيئاتِ) هــــذا تصريح بأن الحسنات تكفر السيئات . . . ويحتمل أن المراد الحسنات مطلقا . . .

وتقول النظرية :

مكنون معنى (إن الحسنات يذهبن السيئات) . . . أن الإنسان حين يفعل الحسنة . . . معناه أن قلبه يتجه إلى الله صادقاً لأن الطاعة لا تكون حسنة عند الله إلا إذا أريد بها وجهه تعالى . . .

أى إذا أتى العبد حسنة إرادة وجه الله . . . إذا اتجه قلبه إلى الله خالصاً . . .

« يذهبن السيئات » يخرج القلب من الظلمات فوراً إلى النور . . .

أى ذهبت ظلماته كلها . . . ذهبت سيئاته كلها فوراً . . . أوتوماتيكيا . . .

فقوله سبحانه : « إن الحسنات يذهبن السيئات » . . . ناموس إلهى خالد . . . لا تبديل له ولا تغيير . . .

يسرى . . . ويجرى . . . فى القلوب . . . وهم لا يشعرون . . .

« إن الحسنات » إن اتجاه القلب إلى الله . . .

« يذهبن السيئات » يذهب فوراً الظلمات . . . يخرج القلب فوراً من الظلمات إلى النور . . .

ويكاد يكون مكنون قوله تعالى : « إن الحسنات يذهبن السيئات » هو بالحرف الواحد : إن اتجاه القلب إلينا ، يخرجه فوراً من الظلمات إلى النور ! ! !

ناموس عام . . . شامل . . . للجميع . . .

وحين هتف رجل من القوم : يا نبي الله ، هذا له خاصة ؟ !

كان جوابه صلى الله عليه وسلم : بَلْ ، للناس كافّة ! ! !

وهذا هو صدق النبوة . . . حين تعلن فى أعلى مستويات الصدق . . . الحقائق العُلَى . . . والنواميس الإلهية التى لا تبديل لها ولا تحويل . . .

فانظر كم فى تلك النظرية من بركات . . . وكم فيها من أنوار ؟ ! !

* * *

ذلك شىء يسير . . . من كثير . . .

وقطرات . . . من مطر غزير . . .

قدمناه ليزداد الذين آمنوا إيمانا مع إيمانهم . . .

وسيعلم الذين أوتوا العلم أن النظرية . . . توشك أن تكون حقا . . . وصدقا . . .

وأن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . تؤيدها . . . من بعيد . . . أو من قريب . . .

وأنها مفتاح . . . كنوز عجيبة . . . من كنوز أحاديثه صلى الله عليه وسلم . . .

ولو أن المقام يسمح . . . لقدمت . . . بإذنه تعالى . . . مئات الأحاديث . . . برهانا على صدق النظرية . . .

ولكن ما سجلناه فى هذا الباب . . . يعطى فكرة . . . ساطعة . . . قاطعة . . . مانعة . . .

هوامش النظرية

تأكد لنا بما لا يدع مجالا للشك . . . من كتاب الله تعالى . . .
وأحاديث رسول الله . . .

أن ملكوت القلوب له اتجاهان . . .

عالم النور . . .

وعالم الظلام . . .

إذا اتجه القلب إلى الله . . . وهو ما يسمى بلسان الشرائع « الإيمان » . . .

دخل القلب فوراً . . . إلى عالم النور . . .

والعكس صحيح . . .

إذا اتجه القلب إلى غير الله . . . وهو ما يسمى بلسان الشرائع « الكفر » . . .

دخل القلب فوراً . . . إلى عالم الظلمات . . .

فالقلب متقلب دائما ... كلما اتجه الإنسان إلى الله ... كان القلب فى عالم النور ...

وكلما اتجه إلى غير لله ... كان فى عالم الظلمات ...

هذه هى الحقيقة العامة الأولى ...

الحقيقة الثانية ...

أن كل طاعة لله ... تزيد القلب نورا ...

كما أن كل معصية لله ... تزيد القلب ظلاما ...

وبلغة القلوب ...

كل طاعة ترفع الإنسان درجة فى عالم النور ...

وكل معصية ... تخفض الإنسان دركة فى دركات الظلمات ...

الحقيقة الثالثة ...

أن القلب يبدأ الصعود ... أو الهبوط من النقطة التى كان عليها ...

فإذا كان القلب فى درجة ما من درجات النور ... وارتكب معصية ...

هوى من تلك الدرجة . . . إلى حيث ينتهى إلى الدركة التى فيها أهل هذه المعصية التى ارتكبها . . .

أى أنه يهوى جميع درجات النـــور التى ارتفعها ثم ينحط فى الظلمات . . . إلى دركة معصيته . . .

وهذا هو معنى مضاعفة العذاب لأهل الدرجات العلى إذا ارتكبوا فاحشة ما . . .

والعكس صحيح . . . مضاعفة الأجر لأهل الظلمات . . . إذا تابوا وأنابوا . . . وعادوا إلى الله . . .

تجد ذلك مكنونًا فى قوله تعالى :

« يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ، مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ، ضِعْفَيْنِ ، وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . »

(سورة الأحزاب ٣٠)

والعكس صحيح . . .

« وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا ، مَرَّتَيْنِ ، وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا . »

(سورة النساء ٣١)

تأمل . . . الإعجاز ! ! !

هناك . . . فى حالة التدهور . . . حالة المعصية « يُضَاعَفْ لهـا العذابُ ضِعْفَيْنِ »

وهنا . . . فى حالة السمو . . . والارتفاع والإقبال على الله . . . . « نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ » ! ! !

هى هى . . .

ضعفين . . . هى مرتين . . .

لمـاذا ؟ !

لأن أهل المعالى . . . إذا تدهوروا . . . هووا درجات النور . . . ثم هووا فى الظلمات إلى حيث دركة المعصية التى أتوها . . .

مرة لهبوط النور . . . ومرة لسقوط الظلمات . . .

والعكس صحيح . . .

أهل التسامى . . . إذا ارتفعوا . . . يصعدون ضعفا ! ! !

فالله أكبر . . . كم للقرآن من عجب ! ! !

وأوضح من ذلك . . . وأكثر دليلا ! ! !

قوله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا ، اتقوا الله ، وآمنوا برسوله

« يؤتكم كفلين ، من رحمته

« ويجعل لكم نوراً

« تمشون به

« ويغفر لكم

« والله غفور رحيم . »

(سورة الحديد ٢٨)

وضوح عجيب جداً ! ! !

« يا أيها الذين آمنوا » يا أيها الذين اتجهت قلوبهم إلينا . . .

« اتقوا الله » داوموا على تقوى الله . . . داوموا على بقاء قلوبكم في عالم النور . . .

« وآمنوا برسوله » وسيروا خلف إمام أهل النور . . . خلف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . . .

ماذا يحدث لو فعلتم هذا ؟ !

« يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ » يؤتكم حتما . . . نصيبين . . .

وليس المراد نصيبين اثنين . . . كلا وإنما يضاعف لكم . . .
ويزيدكم بمقدار إخلاصكم . . .

« مِّن رَّحْمَتِهِ » بأن يرفعكم فى درجات النور . . .

« وَيَجْعَلْ لَكُمْ » دائماً . . .

« نُوراً » عظيما . . . لأنكم فى درجات النور دائمون . . .

« تَمْشُونَ بِهِ » تبصرون به . . . وأنتم تتحركون فى الحياة . . .

أى : تعيشون به . . . دائماً أنتم مبصرون . . .

هذه عجائب . . . فتأمل . . .

الحقيقة الأخرى . . .

أن القلب . . . يسجل أوتوماتيكياً . . . فوراً . . . اتجاه الإنسان . . . كل لحظة . . . والإنسان لا يشعر ! ! !

قلبك . . . يسجل عليك أو لك . . . وأنت لا تشعر ! ! !

هل تؤمن بذلك ؟ ! !

اعلم أن هذه حقيقة . . .

وأن هناك ناموساً إلهياً رهيباً . . . يحكمك دائماً وأبداً . . .

هذا الناموس . . . هو قوله تعالى :

« فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ .

« وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . »

(سورة الزلزلة ٧ و ٨)

« فمن يعمل » أى إنسان يعمل . . .

« مثقال ذرة » أى عمل . . . مهما كان قليلا . . . خطرة . . . نية . . . همّ . . . اتجاه . . . تحرك . . . تنفيذ . . . مهما كان قليلا أو كثيراً . . .

« خيراً » متجهاً فيه قلبه نحو ربه . . . وهذا هو ما يجعل العمل خيراً . . .

« يَرَه » فوراً . . . أوتوماتيكياً . . . يذُوقه . . . يجد أثره فى قلبه فوراً . . .

يرتفع به عند ربه درجة . . . فى مقام النور . . . فوراً . . .

أرأيت ؟ !

جهـاز حساس جداً جداً . . . قلبك الذى تحمله . . . وأنت لا تشعر ! ! !

وتجد ذلك مكنوناً فى قوله سبحانه :

« وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ . . . »

(سورة آل عمران ٢٨) .

لأن هناك جهازاً . . . يسجل عليك وأنت لا تشعر ! ! !

والعـكس صحيح . . .

« وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا » .

أى عمل . . . أى اتجاه . . . أى تفـكير . . . أى تنفيذ . . . مهما كان قليلا أو كثيراً . . .

من الشر . . . والقلب متجه إلى غير الله . . . وهذا ما يجعل العمل . . شرا . . .

« يَرَه » فوراً . . . أوتوماتيكياً . . . يهوى به فى الظلمات . . . . وهو لا يشعر ! ! !

وتجد ذلك مكنوناً فى قوله تعالى :

« . . . وَإِن يُهْلِكُونَ إِلا أَنفُسَهُم وما يَشْعُرُونَ . »

(سورة الأنعام ٢٦)

إنهم يزدادون ظلاماً . . . بما يأتون من شر . . . وما يفكرون فيه من شر . . .

وهم لا يشعرون . . . أن قلوبهم تسجل عليهم ! ! !

فانظر عجائب ملكوت القلوب . . .

وانظر كيف خلقك الله . . . تحاسب نفسك . . . وأنت لا تشعر ! ! !

وهذه الحقائق هي التي انكشفت لأهل الكشف . . . من أهل النور . . .

فروا إلى الله . . . يَزِفُّونَ . . .

وكان خوفهم الأكبر . . . أن يأتوا معصية . . . أو يفكروا فيها . . .

لأن ذلك يسجل عليهم. . . أتوماتيكياً . . . وهم لا يشعرون! ! !

وإن شئت دليلا . . . لا يقاوم . . .

فاسمع إلى قوله سبحانه :

« . . . وَإِنْ تُبْدُوا ما فِي أنفُسِكُمْ ، أَوْ تُخْفُوهُ

« يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ

« فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

« وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ

« وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . »

(سورة البقرة ٢٨٤)

« إن تُبْدُوا » بالقول أو العمل

« ما فِي أنفُسِكُم » المكنون فى نفوسكم

« أو تُخْفُوه » تضمروه فى قلوبكم أو عن أعين الناس

« يُحَاسِبْكُم بِهِ اللهُ » فوراً . . أوتوماتيكيا . . .

يسجل القلب إما لكم أو عليكم . . . حسب ما فى أنفسكم . . .

إن كان خيراً . . . ازداد نوراً . . .

وإن كان شراً . . . ازداد ظلاماً . . .

إن كان خيراً . . . ازداد علواً فى درجات النور . . . وقرباً من الله . . .

وإن كان شراً . . . ازداد هبوطاً فى دركات الظلمات . . . وبعداً عن الله . . .

كل ذلك وأنتم لا تشعرون ! ! !

« فيَغْفِرُ لِمَن يَشاءُ » إذا تاب ورجع إليه . . .

« ويُعَذبُ مَن يَشاءُ » إذا أصر على الشر . . . وذلك بأن يهوى فى الظلمات . . .

وكأن الناس قد عجبوا : كيف يحدث ذلك ؟ !

فكان ختامها الرائع . . . العجيب :

« واللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ » يقـــدر ربما أن يجعل من النواميس . . . ما يسجل على كل إنسان ما يبدى أو يخفى من شر أو خير . . .

وها هى قلوبهم تسجل ذلك لهم أو عليهم . . .وهم لا يشعرون ! ! !

وحقيقة أخرى أعجب وأغرب ؟ !

أن الحالة التى يكون عليها القلب عند الموت . . .

هى الحالة التى يبدأ عليها الإنسان حياته البرزخية ! ! !

فإذا مات الإنسان وقلبه فى عالم النور . . . كان من أهل اليمين . . .

وإذا مات وقلبه فى عالم الظلمات . . . كان من أهل الشمال . . .

وحقيقة أعظم . . .

أنه ينزل منزله فى البرزخ . . . بما يوازى درجته فى هذا العالم أو ذاك . . .

فمن كان فى مقام الرضوان — مثلا — من مقامات النور . . . ومات على هذه الحال . . .

كان منزله فى البرزخ بما يوازى ذلك المقام . . .

وإذا كانت دركته — مثلا — فى دركات الظلمات . . . دركة الغضب . . . كان منزله فى البرزخ بما يوازى ما كان عليه عند الموت . . .

ناموس عجيب ! ! !

وهذا ما يسمى بلسان الشرائع السماوية . . . حُسن الختام . . . وسوء الختام . . .

فبقدر ما سجل قلبك لحظة موتك . . . يكون وضعك فى حياة البرزخ . . .

فإن كان من أهل النور . . . فن أهل النور . . .

وإن كان من أهل الظلمات فن أهل الظلمات . . .

وحقيقة أعجب . . .

أن لكل مقام . . . ولكل درجة . . . من عالم النور . . . أو عالم الظلمات . . .

له أحاسيسه الخاصة به . . .

فأهل النور . . . لهم أحاسيس عليا . . .

وأهل الظلمات . . . لهم أحاسيس سفلى . . .

وعليا الأحاسيس . . . درجات ! ! !

وسفلى الأحاسيس . . . درجات ! ! !

وحقيقة أغرب . . .

أنه إذا كُشِطَت الأبدان . . . وهو ما نسميه بالموت . . .

انكشفت النفوس فوراً . . . على حقيقتها . . .

فأما أهل النور . . . فيتلألأون . . . أجساماً منيرة . . . نورانية . . .

ويكون نورهم . . . بمقدار . . . ارتفاعهم فى درجات النور . . .

ويكون أهل الظلمات . . . مظلمين . . . ويكون إظلامهم . . . بمقدار هبوطهم فى دركات الظلمات . . .

وإليك دلائل ذلك من كتاب الله . . . ليطمئن منك الفؤاد . . . ويخشع منك العقل . . .

قال تعالى :

« يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ ، وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ . . . »

(سورة آل عمران ١٠٦).

والمراد بالوجوه . . . الذوات . . . النفوس . . .

أى يوم تتلألأ نفوس . . . بأنوارها . . . منيرة بمقدار درجتها من النور . . .

« وتَسْوَدُّ وجوه » وتبدو نفوس مظلمة . . . سوداء . . . شديدة الظلمات . . . بمقدار انحطاطها . . . فى دركات الظلمات ! ! !

ودليلا آخر . . .

أبرع . . . وأروع . . . وأسطع . . . وأقطع . . .

قال تعالى : « . . . يَوْمَ لا يُخْزِى اللهُ ، النَّبِيَّ ، والذينَ آمَنُوا مَعَهُ

« نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ، وبأَيْمَانِهِمْ

« يقولُونَ : رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا

« واغْفِرْ لَنَا ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ . »

(سورة التحريم ٨)

هناك . . . النبي . . . وهو أعلى إنسان . . . فى مقامات النور . . .

وهو نور . . . وقلبه نور . . .

وهناك الذين آمنوا معه . . . الذين اتجهت قلوبهم إلى الله . . .

وهم أنوار . . . متفاوتة حسب درجاتهم . . .

كيف يكون هؤلاء يوم القيامة ؟ !

« نورهم » يسطع من ذواتهم . . . لأنها نور ساطع . . .

« يسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ » يتشعشع منهم . . . ويشع أمامهم . . .

« وبأيمانهم » وفى كل اتجاه . . .

ماذا يطلبون من ربهم ؟ !

« رَبَّنا أَتْمِمْ لَنا نُورَنَا » زدنا نوراً على نورنا . . .

ما معنى هذا ؟ !

معناه : ارفع درجاتنا . . .

معناه . . . كلما زادهم نوراً . . . ازدادوا علواً فى الدرجات . . . ازدادوا قربا . . . ازدادوا أنساً وعطاء ! ! !

فلعلك الآن يا صاحبى . . . قد أيقنت يقيناً لا يتزلزل . . .

والآن . . . خذوا الحقيقة الكبرى . . .

كل إنسان يولد . . . على الفطرة . . .

خامة . . . كالشمع الأبيض . . . يصلح لأن يتجه إلى ربه . . . أو إلى أسفل . . .

وهنا دور التوجيه . . . والتربية . . . وضرورة توجيه الأطفال إلى الحق . . . قبل أن يتخشبوا . . . ويجمدوا على الباطل . . .

كل إنسان يولد ذا إرادة حرة مائة فى المائة . . .

منحه الله تعالى تلك الإرادة بإذنه وإن شاء سلبها منه . . .

لينظر : أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ؟ !

إذا اتجه الإنسان إلى الله . . . خـــــروج القلب من الظلمات إلى النور . . .

وإذا اتجه إلى غير الله . . . خرج من النور إلى الظلمات . . .

الإيمان . . . بلغة الحقيقة . . . هو اتجاه القلب إلى الله . . .

والكفر . . . بلغة الحقيقة . . . هو اتجاه القلب إلى غير الله . . .

كل لحظة . . . تمر على القلب . . . وهو فى مقامات النور . . . تزيده نوراً . . .

وكل لحظة . . . تمر عليه . . . وهو فى دركات الظلمات تزيده ظلاماً . . .

أى : كل لحظة يكون القلب فيها متجها إلى الله تزيده نوراً . . .

وكل لحظة يكون فيها متجها إلى غير الله تزيده ظلاماً . . .

وكذلك كل طاعة تزيد القلب نوراً

وكل معصية تزيده ظلاماً

كلما ازداد القلب نوراً ارتفع درجة فى مقامات النور ...
أى ازداد قرباً

وكلما ازداد القلب ظلاماً ازداد انحطاطا إلى أسفل. . . أى ازداد
بعداً . . .

القلب يسجل أوتوماتيكيا . . . فوراً . . . ما ظهر وما بطن . . .
من أفكار أو أفعال صاحبه ! ! !

ولذلك كان التوجيه الإلهى :

« وذروا ظاهرَ الإثمِ وباطنَهُ ... »

(سورة الأنعام ١٢٠)

لماذا ؟ . . . لأن القلب يسجل كل خطرة . . . وكل وسواس . . .
وكل هم . . . وكل عمل بطن أو ظهر ! ! !

فالناس فى الحقيقة . . . محاسبون من الآن . . . على ما يعملون . . .
وهم لا يشعرون ! ! !

وتلك حقيقة رهيبة جداً . . . لو أيقن بها البشر . . .

لذابوا . . . وتلاشوا . . .

ولكن من رحمته تعالى . . . أنها محجوبة عن أكثر الناس . . .

وحتى الذين انكشفت لهم . . . تغيب عنهم كثيراً ! ! !

وتجد ذلك مكنوناً فى قوله . . . صلى الله عليه وسلم :

« لو تعلمون ما أعلم

« لضحكتم قليلا ، ولبكيتم كثيرا . . . »

عنــــد الموت . . . ينكشف الغطاء . . . بانسلاخ النفس من الجسم . . .

فإذا بالنفس طبق الأصل من حقيقتها . . .

إما مضيئة . . . إما نورانية . . . بنسبة درجة نورها . . .

وإما مظلمة . . . إما ظلمانية . . . بنسبة دركة ظلماتها . . .

ينزل النــاس منازلهم فى حياة البرزخ . . . حسب حالتهم عند الموت . . .

وتكون درجاتهم فى اليمين . . . أو الشمال حسب حالتهم عند الاحتضار ! ! !

وفى الآخرة . . . يوم القيامة . . . يوم يقوم النــــاس لرب العالمين . . .

يأتون . . . وقد وضحت حقائقهم . . .

إما نورانيون . . . وإما ظلمانيون . . .

وهم فى كل درجات . . .

ويتقاسم الناس . . . الجنة . . . والنار . . .

حسب درجاتهم . . . من النور . . . أو الظلام . . .

أهل النور . . . يتقاسمون . . . الجنة . . . حسب درجة نورهم التى بعثوا عليها . . . والتى ماتوا عليها من قبل . . .

وأهل الظلمات . . . يتقاسمون . . . حسب درجة ظلامهم التى بعثوا عليها . . . والتى ماتوا من قبل عليها ! ! !

يسرى هذا الناموس أوتوماتيكياً فى الحياة الدنيا . . .

فالقلوب تسجل . . . والنفوس تنير أو تظلم . . . حسب اتجاهها . . . أوتوماتيكياً . . .

وفى البرزخ . . . ينزل الناس منازلهم بعد الموت . . . حسب درجاتهم من هذا أو ذاك . . .

وفى الآخرة . . . يتقاسمون الجنة . . . أو النار . . . حسب درجاتهم من النور . . . أو الظلام . . .

وإن دلت هذه الحقيقة الكبرى . . . على شيء . . .

فإنما هي برهان . . . يشع إشعاعا باهرا . . . قاهرا . . .

أن الله تعالى . . . خلق الإنسان . . . لحكمة جليلة . . .

وفطره على نواميس . . . تسرى . . . وتجرى . . . فيه وهو لا يشعر . . .

وأن الإنسان . . . الذى ينكر وجود ربه . . . أو يتأبى عن الإذعان لأوامره . . .

مسكين . . . حقاً وصدقاً . . .

لأنه يكذِّب بإله . . . قاهر فوق عباده . . .

إلهٍ . . . بلغت نواميسه . . . من الإتقان . . . حدًا . . . أعجز العقول . . . وبهر الألباب . . .

عجائب النظرية !

كى يطمئن منك الفؤاد . . .

ويسلم عقلك بالنظرية تسليما . . .

أقدم لك . . . حالات قليلة . . . من شئون القلب . . .

تحت إشعاع النظارية . . .

فى أسلوب مبسط . . . ورسوم بسيطة غاية البساطة . . .

تدرك منها فوراً . . . شيئا عن عجائب النظرية الغريبة ! ! !

كيف تعرف نفسك ؟!

كى تعرف نفسك . . . أو شخصيتك ، هل أنت من أهل النور الآن ، أم من أهل الظلام ؟

انظر : هل تريد بعملك وجه الله ؟

: هل تتجه بنيتك نحو الله ؟

فإن كنت تريد الله بما تعمل ، أو فيما تفكر . . .

فأنت فى هذه اللحظة التى أنت فيها من أهل النور . . إن شاء الله تعالى . . .

ولا يمنع ذلك أنك كنت من قبل هذه اللحظة غير ذلك . . .
أو تكون بعد هذه اللحظة . . . غير ذلك . . .

فالقلب يتقلب فى كل لحظة ، إما إلى النور ، وإما إلى الظلام . . .
تبعاً لاتجاه إرادتك . . .

فإن اتجهت إلى الله . . . خرج من الظلمات إلى النور . . .
وإن اتجهت إلى غيره خرج من النور إلى الظلمات ! ! !

والآن انظر هذا الرسم البسيط . . . تدرك عالم القلب . . .

مقامات النور:
مقام السلام
مقام الصديقية
مقام الرضوان
مقام الرحمة
مقام المغفرة

خط الفطرة — الانسان على الفطرة

دركات الظلمات:
الضلال
الغضب
اللعنة
الهاوية

ماذا فى هذا ؟ !

إذا كان القلب فى خط الفطرة . . . فإنه يكون صالحاً لأن يتجه إلى الله . . . أو يتجه إلى غير الله . . .

فإذا اتجه إلى الله . . . خرج من خط الفطرة إلى أول مقامات النور . . .

أى وقف ببابه تعالى :

مقام المغفرة   حركة القلب عند ارادته الله تعالى

خط الفطرة

إلا أنه لا يترق فى مقامات النور . . . إلا إذا استمر فى اتجاهه نحو الله . . .

فإذا استمر . . . ارتفع بكل لحظة . . . درجة فى هذه المقامات . . .

والعكس صحيح . . .

إذا اتجه القلب . . . إلى غير الله . . . خرج من خط الفطرة . . . إلى أول دركات الظلمات . . .

خط الفطرة

منطقة الضلال — حركة القلب عند ارادته غير الله

أى أن القلب نزل إلى أول دركات الضلال . . .

وكل لحظة تمر على القلب وهو فى الظلمات . . . يهوى بها دركة إلى أسفل. . . أى يزداد بها ظلاماً. . . أى يزداد بها عن الله بعداً. . .

ما معنى مقامات النور ؟

إذا وقف القلب بباب الله . . .

بدأ حركته نحوه تعالى . . .

كلما أتى طاعة . . . ومضت عليه لحظة . . . ارتفع بها درجة. . . فى مقامات النور . . .

فكل مقام . . . ينقسم إلى درجات لا يحصيها إلا الله . . .

فقام المغفرة . . . هو المقام الذى يتلو مقام الفطرة مباشرة . . .

فإذا جازه القلب . . . دخل مقام الرحمة الخاصة . . . التى يختص الله بها عباده المؤمنين . . .

فإذا جازه . . . دخل مقام الرضوان . . . وهو مقام أعلى من مقام الرحمة . . .

وفى هذا المقام. . . تجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. . .

ولذلك نقول عنهم . . . رضى الله عنهم ورضوا عنه . . .

فإذا جازه العبد . . . صعد إلى مقام الصديقية . . .

ومن هؤلاء أبو بكر الصديق . . .

ومن الإناث . . . مريم . . . « وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ » . . .

ثم من وراء ذلك . . . مقام السلام . . .

وهذا خاص بالأنبياء والمرسلين . . . « وَسَلَامٌ على عبادِهِ الذين اصْطَفَى » . . .

وكل مقام من هذه المقامات درجات لا يحصيها إلا الله . . .

فالأنبياء الذين فى مقام السلام. . . درجات شتى. . . يتفاوتون. . .

ويتفاضلون . . . « تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، مِّنْهُم مَن كَلَّمَ اللَّهُ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ . . . »

(سورة البقرة ٢٣٥)

ما معنى دركات الظلمات ؟ !

إذا اتجه القلب إلى غير الله . . . بدأ الضلال . . .

فانقلب من الفطرة . . . إلى منطقة الضلال . . .

وهذه دركات . . . شتى . . .

لا يحصيها إلا الله . . . بعدد معاصى العباد . . .

فالمعاصى كلها . . . دركات فى مناطق الظلام . . .

فإذا استمر القلب . . . منقلباً عن ربه . . . ماضياً فى المعاصى . . .

انحط إلى منطقة الغضب . . .

فإذا انحط إلى ما هو أشد . . . انحط إلى منطقة اللعنة . . .

فإذا انحط إلى ما هو أشد . . . انحط إلى الهاوية . . .

قال تعالى :

« . . . وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ . »

(سورة طه ٨١)

وكل منطقة . . . دركات . . . شتى . . .

ما معنى أن العبادات . . . تغفر الذنوب ؟!

لعلك قد قرأت كثيراً . . . فى أحاديثه صلى الله عليه وسلم . . .

نصوصاً صريحة . . . تؤكد . . . مثلا . . .

أن الصلاة إلى الصلاة . . . كفارات لما بينهن . . .

فما معنى هذا . . . تحت إشعاع النظرية ؟!

معناه جميل جداً . . .

أن الإنسان فى الوقت الذى بين الصلاتين . . . يرتكب شيئاً من المعاصى . . .

فمعنى هذا أن قلبه . . . اتجه إلى الظلمات . . . ودخل إلى منطقة الضلال . . .

فإذا صلى العبد الفريضة . . .

كان معنى هذا أن قلبه عاد يتجه إلى الله . . . أى خرج من منطقة الضلال . . . إلى أول مقامات النور . . . أى مقام المغفرة . . .

ولعل الحكمة فى فرض خمس صلوات كل يوم . . . هو هذا . . . هو تحويل اتجاه القلب . . . كلما انقلب عن ربه . . . من الظلمات إلى النور . . .

وإرجاعه إلى مقامات النور . . . وإن كان هذا يقف به فى مقام المغفرة ليس إلا . . .

واقرأ فى ذلك . . . إن شئت تلك الأحاديث الصحاح . . .

التى تؤكد . . . أن مَثَل الصلوات الخمس . . . كمثل نهر بباب أحدكم . . . يغتسل فيه خمس مرات . . . كل يوم وليلة . . . هل يبقى من درنه[1] شىء ؟ !

وتلك الأحاديث التى تؤكد . . . أن من صام رمضان إيماناً واحتساباً . . . غفر له ما تقدم من ذنبه . . .

لأن صيـــــام رمضان . . . إيماناً . . . أى اتجاهاً بالقلب إلى الله . . .

---

(١) وسخه .

أى أن القلب خرج من الظلمات إلى النور . . . ودخل مقام المغفرة . . .

وهذا هو معنى « غُفر له ما تقدم من ذنبه »

لأن خروج القلب من الظلمات . . . ودخوله إلى النور . . . معناه سقوط ظلماته السابقة كلها . . . وهو مكنون معنى « غفر له ما تقدم من ذنبه » ؟ !

ما معنى أن الحج يسقط الذنوب ؟ !

لعلك تقرأ هذه النصوص . . . التى تشير إلى أن . . . من حج فلم يرفث ولم يفسق . . . خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . . .

فتعجب : أيعقل هذا ؟ !

ولكى يزول عجبك . . . انظر إلى القضية تحت إشعاع النظرية . . .

ما الذى يحدث إذا حج الإنسان وأدى فريضة الحج ابتغاء وجه الله ؟

معناه أن الإنسان يتجه بقلبه إلى الله اتجاهاً تاماً . . .

معناه أن القلب خرج من الظلمات . . . إلى النور . . . ودخل منطقة المغفرة . . . أول مقامات النور . . .

ومتى دخل القلب مقامات النور . . . لم يكن فيه ظلام . . .

أى سقطت ذنوبه كلها ! ! !

أى عاد كيوم ولدته أمه . . . على الفطرة لا شر ولا خير . . . .

فعليه أن يبدأ السير إلى الله من جديد . . .

وهذا هو الحج المبرور . . .

أما إذا انتكس بعد حجه . . . وانقلب مرة ثانية . . .

فمعنى هذا أنه انقلب عن ربه . . . ودخل الظلمات ثانية . . .

فلا ينفعه حجه الذى كان منه ! ! !

عجائب غريبة جداً . . . تكشفها هذه النظرية العجيبة . . .

ولذلك قالوا علامة الحج المبرور . . . هو دوام التوبة والاستقامة . . .

وهذا حق . . . أى دوام القلب فى مقامات النور . . . وعدم خروجه منها . . . ودخوله إلى الظلمات مرة أخرى ! ! !

ماذا يحدث عندما يتوب الإنسان؟!

التوبة . . . هى الرجوع . . .

فما معنى ذلك تحت إشعاع النظرية ؟!

معناه عجيب جداً . . .

أن القلب انقلب من اتجاهه إلى أسفل. . . إلى الاتجاه إلى الله . . . إلى أعلى . . .

أى أنه خرج من الظلمات إلى النور . . . ودخل مقام المغفرة . . .

وتأمل هذا الرسم. . . تأخذ فكرة عن خط سير قلب التائب . . . جميلة جداً . . .

مقام الرحمة

مقام المغفرة

خط الفطرة

منطقة الضلال

منطقة الغضب

لحظة التوبة

إنسان ما . . . قلب ما . . .

كان ضالا . . . فهو فى منطقة الضلال . . . من الظلمات . . . .

وأسرف فى المعاصى . . . حتى هوى إلى منطقة الغضب . . .

وفجأة أراد التوبة . . . أراد الرجوع إلى الله . . .

فانقلب قلبه فى لحظة التـوبة . . . من الاتجاه إلى أسفل . . . إلى الاتجاه إلى الله . . .

ثم واصل سيره إلى الله ... فخرج من منطقة الغضب ... إلى منطقة الضلال . . .

ثم واصل سيره . . . فخرج من الظلمات نهائياً . . . ودخل إلى خط الفطرة . . .

ثم واصل سـيره . . . فدخل مقامات النور . . . فى مقام المغفرة . . .

وهكذا لو صدقت توبته ... واستمرت . . . وواصل سيره إلى الله . . .

استطاع أن يرق . . . إلى مقام الرحمة ... ثم إلى مقـام الرضوان . . . وهكذا . . .

ولنأخذ لذلك مثلا . . . رائعاً . . . رجلا . . . من عظماء التائبين . . . فى التاريخ . . . ذلك الذى اسمه « عمر بن الخطاب » . . .

عمر . . . هذا . . . ذهب ليدمر أخته ان اتبعت محمداً ! ! !

فهو قد بلغ أقصى غايات الضلال . . .

فقلبه فى هذه اللحظة . . . كان فى الظلمات الشديدة جداً . . .

وفجأة عندما . . . سمع شيئاً مما قرأوا عليه من سورة طه وغيرها . . . فى بيت أخته التى ذهب ليدمرها . . . أن تابعت محمداً ! ! !

حدثت المفاجأة . . . حدث الانقلاب . . .

لقد انقلب قلبه الآن . . . من الاتجاه إلى غير الله . . . إلى الاتجاه إلى الله . . .

وصرخ عمر : دلونى على محمد ! ! !

وخرج يعدو . . . إليه . . . وأعلن إلى سيد البشر : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ! ! !

فما معنى هذا تحت إشعاع النظرية ؟ !

معناه أن قلب عمر . . . كان فى ظلمات بعيدة جداً . . . عن الله . . .

ثم انقلب قلبه فجأة . . .

فجاز جميع مناطق الظلمات التى هوى إليها من قبل . . .

ثم جاز خط الفطرة . . .

ثم دخل إلى مقامات النور . . .

ثم دخل مقام المغفرة . . .

ثم جازه ودخل مقام الرحمة . . .

ثم جازه وارتقى إلى مقام الرضوان . . .

ثم جازه وارتقى إلى أعلا درجات الرضوان . . .

وأوشك أن يدخـــــل مقام الصديقية . . . إلا أن أبا بكر قد سبقه إليه ! ! !

هذا هو الخط البيانى . . . لقلب رجل من مشاهير التائبين . . .

لعلنا ندرك منه . . . شيئاً من عجائب القلوب . . .

وحينما استشهد عمر . . .

كان قلبه . . . فى أعلى درجات . . . مقام الرضوان . . .

فهو أفضل أصحاب رسـول الله . . . على الإطلاق . . .

في خلافته . . . حيث كان أبو بكر قد ذهب إلى ربه . . .

لماذا ؟ !

لأنه قلب . . . منذ تاب وأسلم . . . وهو يواصل الترقي في مقامات النور . . . حتى فاق في صعوده جميع أصحاب رسول الله . . . أهل مقام الرضوان ! ! !

فيا لعمر . . . كم له من عجائب ! ! !

ما معنى الشرك بالله ؟ !

ما هو هذا الشرك . . . تحت إشعاع النظرية الخطيرة ؟ !

الشرك . . . هو أن تشرك مع الله شيئاً آخر . . .

فما معنى هذا ؟

معناه أن قلبك اتجه إلى شيء غير الله . . .

لأن هناك استحالة أن تتجه إلى وجهتين في وقت واحد . . .

مستحيل أن يكون قلبك متجهاً إلى الله . . . وإلى شيء آخر في لحظة واحدة . . .

إما الله . . . وإما ما سواه . . .

ولذلك كان الشرك . . . هو الشيء الذى لا يغفره الله تعالى . . .

استمع :

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ، لِمَن يَشَاءُ ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا . »

(سورة النساء ٤٨)

لماذا هذا ؟ !

لأن القلب لحظة الإشراك بالله . . . يكون متجها إلى الشيء الذى تسلق به . . .

ومعنى هذا أنه انقلب عن الله . . .

أى خرج من النور إلى الظلمات . . .

وبقدر استمراره على التعلق بهذا الشيء . . . يزداد ظلاماً . . . ويزداد هوياً فى الظلمات . . .

وهذا هو مكنون قوله « لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ » . . .

أى : يخرج القلب فوراً . . . من النور إلى الظلمات . . . بمجرد

تعلقه بشيء آخر سوى الله تعالى . . .

ولذلك كانت « لا إله إلا الله » هى مفتاح الجنة . . . ومفتاح النور . . . ومفتاح التوجه إلى الله . . .

لماذا ؟ !

لأن مكنونها : لا إله يجوز أن يتجه إليـــــه القلب . . . ويتعلق به . . . إلا الله . . .

أما إذا اتخذ القلب إلهاً آخر من دون الله . . . شيئاً آخر يتعلق به . . . أو يركن إليه . . . فقد أشرك . . . فقد خرج فوراً من النور إلى الظلمات ! ! !

ناموس رهيب جداً . . .

والناس فى فهمه درجات . . . شتى . . .

وكلما ارتقى القلب فى درجات النور . . . علم منه ما لم يكن يعلم . . . حين كان فى الدرجات الأقل . . .

فالأنبياء يدركون من . . . لا إله إلا الله . . .

ما لا يدركه الخلق أجمعون من دونهم . . .

فهم لذلك متجردون لله . . . لا تتجه قلوبهم فى لحظة من لحظات حياتهم . . . إلا إلى الله وحده . . .

ومن ورائهم الصديقون . . .

ومن ورائهم أهل الرضوان . . .

ومن ورائهم أهل الرحمة . . .

ومن ورائهم أهل المغفرة . . .

وهكذا . . .

وعلى هذه القاعدة . . . كان رفض الأعمال وقبـــولها . . . عنده تعالى . . .

فما أريد به وجهه . . . وحده . . . كان مقبولا . . .

وما داخله شرك ما من قريب أو بعيد . . . كان مردوداً ! ! !

واسمع فى ذلك قوله سبحانه . . .

« قُلْ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، مِثْلُكُمْ ، يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ واحِدٌ

« فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ

« فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا

« وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً . »

(سورة الكهف ١١٠)

« إلهكم إله واحد » إلهكم أيها الناس جميعاً . . . الذى ينبغى أن تتجه إليه قلوبكم جميعاً . . . إنما هو إله واحد . . .

« فمن كان يرجو » يأمل . . .

« لقاء ربه » الاتجاه إلى ربه . . .

« فليعمل عملا صالحاً » يراد به وجه الله تعالى

« ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » ولا يتجه أثناء توجهه إلى الله إلى شىء آخر . . .

وإلا حبط عمله من أساسه ! ! !

ومن هنا كان الشرك . . . أنواعاً لا تحصى . . .

وأشده . . . هو أن تجعل لله نداً . . .

وأقله . . . ما كان خفياً . . . كدبيب النمل . . . يخفى على القلوب . . .

ولذلك كان سيد البشر . . . يتعوذ :

« اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ، وأستغفرك لما لا أعلم . » ! ! !

فكيف بنا . . . ونحن على ما نحن عليه ؟ ! !

* * *

ذلك شيء يسير . . .

وإشارات . . . تشير . . . إلى مفاتيح النظرية . . . لا عبارات . . .

سجلناها . . . ليزداد الذين آمنوا إيماناً . . . وتكون للذين لا يؤمنون برهاناً . . .

ولولا أن المجال ليس مجال تفصيل . . . لأوردنا كثيراً من آيات كتاب الله تعالى . . . وصحاح أحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم . . .

مما يؤكد النظرية تأكيداً عظيما . . .

ولكن فيما ذكرنا كفاية . . . لمن تداركته العناية . . .

وكثرة النور قد تعمي العيون . . .

مفاتيح النفس البشرية !

بلغت قوة العطاء الربانى . . .

فى هذه النظرية العظمى . . .

جداً . . . جعلها . . . ما إن سلطت إشعاعاتها على شىء . . .
إلا كشفت فوراً . . . عن حقيقته . . .

كأنها أشعة من تلك الأشعات التى يسلطها العلماء . . . على
الأجسام . . . فتكشف خباياها كشفا . . .

وإنى . . . بإذنه تعالى . . . أسلط إشعاعها . . . على بعض
المشكلات الكبرى . . . التى حيّرت الناس قديماً وحديثا . . .

فإذا بها أموراً بسيطة جداً . . . سهلة جداً . . .

كمثل الطبيب يحار فى تحديد الداء الدفين . . . فيقرر الكشف
بالأشعة على المريض . . .

فإذا نظر إلى شريط الأشعة المصور . . . رأى بعينيه حقائق المرض
الخفى عن عينه المجردة . . .

ما معنى : « إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً . » ! ؟

هذه آيات . . . من كتاب الله . . .

تقول بالنص :

« إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً . وأَكِيدُ كَيْداً . فَمَهِّلِ الكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا . »

(سورة الطارق ١٥ — ١٧)

ويقرؤها القارئون . . . ويهجس فى نفوسهم : هل لله كيد ؟ !

وتقول النظرية الكبرى : نعم . . . وإليكم كيد الله تعالى . . . كيف يكون ؟

« إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً » إن أهل الظلام يظنون أن أحداً لا يُحصى عليهم ما يفعلون من إجرام . . .

« وأكيد » أنا الله . . .

« كَيْداً » عظيما . . . لا يقادر قـــدره . . . ولكنهم لا يشعرون ! ! !

كيف يحدث هذا الكيد الإلهى ؟ !

إن هناك جهازاً سرياً . . . هناك قلباً داخل كل إنسان . . .
يتأثر أوتوماتيكيا . . . بكل ما يصدر عن الإنسان ! ! !

إذا آمن بالله . . . استنار أوتوماتيكيا . . .

وإذا كفر بالله . . . أظلم أوتوماتيكيا . . .

وإذا أطاع ربه . . . ازداد نورا . . .

وإذا عصى ربه . . . ازداد ظلاما . . .

جهاز عجيب . . . رهيب . . . داخل كل إنسان ! ! !

وهذا هو الكيد الحق . . .

أعظم الكيد . . . وأدقه . . . وأعدله . . .

كيدٌ لا يظلم أحدا أبدا . . .

فتأمل . . . وتعجب . . . كيف صنعك . . . وكيف يراقبك . . .
أوتوماتيكيا . . . من داخلك ! ! !

فأى الكيدين أعظم ؟ !

كيدهم الضعيف . . . الباطل . . .

أم كيده المحكم . . . الذى لا يفلت منه شيئا ! ! !

« فَمَهِّلِ الكافرين » فمهل أهل الظلام . . .

دع أهل الظلام . . . الذين أنكرونى . . . دعهم . . .

« أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا » زمنا قليلا . . . هى مقدار أعمارهم فى هذه الحياة الدنيا . . .

إنّا منحناهم الحياة الدنيا فرصة . . . يختارون فيها يشاءون . . .

أعطيناهم إرادة حرة . . . طيلة حياتهم الدنيا . . .

يفعلون ما يشاءون . . .

إن شاءوا كفروا بنا . . .

وإن شاءوا آمنوا بنا . . .

إن شاءوا اتجهت قلوبهم إلينا . . . وإن شاءوا اتجهت قلوبهم إلى ما سوانا . . .

هناك نواميس . . . تحكم كل إنسان أوتوماتيكيا . . .

هناك القلوب. . . تسجل لهم أو عليهم. . . وهم لا يشعرون ! ! !

فانظر . . . كيف تلألأت حقائق الكيد الإلهى . . . تحت إشعاعاتها . . .

بعد أن كانت لغزاً . . . يحار فى فهمه الخلق . . ويختلفون ! ! !

فاللهم . . لك الحمد . . . ملء السماوات . . . وملء الأرض . . .

وملء ما شئت من شىء بعد . . .

ما معنى : « كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . » ؟!

يقول النص :

« كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ .

« كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ .

« ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ . »

(سورة المطففين ١٤ — ١٦)

« كَلَّا » ردع للمعتدى الأثيم

« بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ما كانوا يكسِبُونَ » ليس فى آياتنا ما يصح أن يقال فى شأنها مثل تلك المقالات الباطلة

بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما استمروا على اكتسابه من الكفر

والمعاصي حتى صار كالصدأ في المرآة ، فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق .

والرين : الصدأ . . . يقال : ران عليه الذنب ، وغان عليه ، رينا وغينا

« عن أبي هريرة

« عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال :

« إن العبد إذا أذنب ذنبا ، نكتت في قلبه نكتة سوداء

« فإن تاب ، ونزع ، واستغفر ، صقل قلبه

« وإن عاد ، زادت

« حتى تعلو قلبه

« فذلك الران ، الذى ذكر الله تعالى في القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . »

(أخرجه الامام أحمد ، والترمذى ،
والحاكم ، وصححاه ، والنسائى ، وابن ماجه ،
وابن حبان ، وغيرهم)

ويعتبر هذا الحديث كنزاً ثميناً ثميناً . . . في براهين النظرية الكبرى !

ما هو هذا الران ، الذى ينشأ عن المعاصى ؟ !

ها هو رسول الله . . . صلى الله تعالى عليه وسلم . . . يكشف عنه كشفا عجيبا . . .

كشفا يؤيد النظرية تأييداً مطلقا ! ! !

يقول : « إن العبد إذا أذنب ذنبا »

أى إنسان إذا ارتكب معصية ما . . . ذنبا ما . . .

« نكتت فى قلبه نكتة سوداء » فوراً . . . أوتوماتيكيا . . . بمجرد تفكيره فى الذنب يبدأ القلب فى الإظلام . . . فإذا نفذ الذنب عمليا . . . تم الإظلام . . .

ما معنى : نكتت فى قلبه نكتة سوداء ؟ !

المعنى تحت إشعاع النظرية الباهرة . . . بدأ قلبه يخرج من النور . . . إلى الظلمات . . . إن كان من قبل فى مقامات النور . . . فإن كان أصلا فى دركات الظلمات . . . ازداد ظلاما . . .

أى أن الإنسان إذا أذنب ذنبا ما . . . هوى بذلك الذنب إلى أسفل . . . ويبدأ هويه من حيث انتهى قبل الذنب . . .

فالنكتة السوداء . . . معناها أن إظلام القلب ازداد بالذنب. . .

ثم ماذا ؟ ! ثم ما هو أعجب وأعجب فى براهين النظرية العظمى؟ !

يقول أعلى وأغلى وأرق . . . المقول : « فإن تاب »

أى : فإن حدث الانقلاب ، انقلاب القلب عن المعصية . . .

بعد أن كان القلب متجهاً إلى المعصية . . . انقلب عنها . . . ورجع عنها . . . واتجه إلى الله . . .

« ونزع » عن المعصية . . . وواصل الخروج من الظلمات إلى النور . . .

« واستغفر » وطلب من الله تعالى . . . أن يغفر له ما كان منه . . .

أى : اتجه قلبه إلى الله . . . داعياً . . . مستصرخاً . . .

« صقل قلبه » ذهب ما حدث به من إظلام . . .

كيف يحدث هذا ؟ !

إن القلب بتوبة صاحبه ، واستغفاره . . . قد خرج من الظلمات إلى النور . . .

أى عاد أوتوماتيكياً إلى مقامات النور . . . وهذا هو مكنون قوله « صقل قلبه » !!!

فتأمل . . . وتعجب !!!

وأخرى أعجب وأعجب !!!

قوله : « وإن عاد »

وإن عاد الإنسان إلى الذنب . . .

« زادت » زادت الظلمات . . .

أى بلغة النظرية : خرج من النور إلى الظلمات . . . وهوى إلى أسفل . . . فازداد ظلاماً

« حتى تعلو قلبه » ومكنون معناها . . . حتى يتحول القلب إلى إظلام تام . . .

ثم يقول صلى الله عليه وسلم : « فذلك الران ، الذى ذكر الله تعالى فى القرآن ، كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » !!!

إن رسول الله . . . صلى الله عليه وسلم . . . يكشف حقائق هذا الران ، الذى يحدث بالقلوب ! ! !

فإذا به يؤيد النظرية . . . تأييداً كبيراً ! ! !

وفى حديث ، أخرجه عبد بن حميد ، أنه عليه الصلاة والسلام قال :

« أربع خصال مفسدة للقلوب

« مجاراة الأحمق ، فإن جاريته كنت مثله ، وإن سكت عنه سلمت منه

« وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب ، وقد قال الله تعالى : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

« والخلوة بالنساء ، والاستمتاع بهن ، والعمل برأيهن

« ومجالسة الموتى

« قيل : يا رسول الله ، من هم ؟

« قال : كل غنى ، قد أبطره غناه . »

وتأمل قوله : وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب ؟ !

لأن كل ذنب يحدث يزيد القلب ظلاماً على ظلامه « ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بَعْضٍ »

ثم يقول : « وقد قال الله تعالى : بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون »

أى أن دليله صلى الله تعالى عليه وسلم هو هـذا الذى قاله الله تعالى . . .

وتأمل بعد ذلك توجيهه نحو الابتعاد عن الموتى . . .

والمراد موتى القلوب . . . وهم الأغنياء الذين أبطرهم غناهم . . .

الذين حجبوا بأموالهم عن ربهم . . .

وعاشوا فى الظلمات . . . أمواتاً . . . وهم لا يشعرون ! !

هؤلاء ينبغى الابتعاد عنهم . . . فإن الركون إليهم . . .

معناه أن قلبك قد انقلب عن الله واتجه إلى ما يتجهون إليه . . .

أى أنه خرج من النور إلى الظلمات ! ! !

ونخرج من هذه العجائب التى كشفها لنا أعلى العقول البشرية علما . . .

لنتأمل ما قاله الإمام الربانى « نعمة الله محمود النخجوانى » . . .
المكاشف المدقق المحقق العارف . . . فى تفسير هذه الآيات . . .

لنزداد يقينا . . . أن النظرية أصلها ثابت وفرعها فى السماء . . .

قال :

« بل ران » يعنى : بل قد ظهر وحدث فى نفوسهم

« على قلوبهم » فسكثفها ، وكدرها ، إلى حيث أظلمها ، وسوّدها . . . ولم يبق فيها لمعة من بياض نور الإيمان . . . ذلك إلا بسبب

« ما كانوا يكسبون » من المعاصى ، والشهوات ، المذهبة لجودة الفطرة الأصلية ، والفطنة الجبلية ، التى فطروا عليها فى أصل الخلقة

« كلا » ردعاً لهم عن ارتكاب اقتراف الرين المصدىء بقلوبهم . . . كيف يكسبونه مع أنهم قد جبلوا على فطرة الإيمان والتوحيد

« إنهم » أولئك المفسدين المسرفين

« عن ربهم » الذى رباهم لمصلحة المعرفة والإيمان

« يومئذ » يوم اقتراف المعاصى الرائنة

« لمحجوبون » عن الله ، وعن ظهور نوره اللامع ، فى صفائح الأنفس والآفاق . . . مع أنه لا سترة له سبحانه . . . ولا حجاب . . .

فى حال من الأحوال . . . إلا أن خفافيش بقعة الإمكان . . . لا يرون شمس ذاته اللامعة . . . بواسطة غيوم هوياتهم الباطلة . . . وتعيناتهم العاطلة

« ثم إنهم » بعد ما حجبوا من الله . . . وحرموا عن مطالعة وجهه الكريم

« لصالوا الجحيم » أى داخلوها وخالدون فيها أبدا . . . (انتهى)

هنالك إذاً قلب . . .

هذا القلب يتأثر بكل ما يصدر عن صاحبه . . .

وهذا هو معنى « ما كانوا يكسِبُونَ » . . .

أى نوع من الكسب . . . خطرة . . . فكرة . . . إقدام . . . عمل . . . قول . . .

كل هذا يؤثر على القلب أوتوماتيكياً . . .

وأعجب العجب أن الإنسان لا يصدق أن هنالك جهازاً سرياً رهيباً يسجل عليه . . . من داخله . . . وهو لا يشعر ! ! !

مساكين... أهل الحجاب.. مساكين؟!

ما هو هذا الحجاب ؟ !

هل هو سد مادى . . . يحجب الإنسان عن ربه ؟

كلا . . .

إن الأمر أرق . . . وأدق . . . وأخفى من هذه التصورات . . .

استمع أولا إلى ما قال أهل التفسير :

« كلا » حقا

« إنهم » هؤلاء المكذبين . . . أهل الظلام

« عن ربهم يومئذ لمحجوبون » لا يرونه سبحانه . . . وهو عز وجل حاضر ناظر لهم

بخلاف المؤمنين . . . فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية . . .

لأن المحجوب لا يرى ما حجب

قال الشافعى : لما حجب سبحانه قوما بالسخط ، دل على أن قوما يرونه بالرضا

وقال أنس بن مالك : لما حجب عز وجل أعداءه سبحانه فلم يروه ، تجلى جل شأنه لأوليائه حتى رأوه عز وجل

أو بتقدير مضاف ، أي عن رحمة ربهم ... أو ألطاف ربهم ... أو كرامة ربهم

« ثم إنهم لصالوا الجحيم » داخلون فيها ...

و « ثمَّ » لتراخي الرتبة ... بناء على ما عندهم ... فإن صلى الجحيم عندهم أشد من حجابهم عن ربهم عز وجل ...

وأما عند المؤمنين ... لا سيما الوالهين به سبحانه منهم ... فإن الحجاب عذاب لا يدانيه عذاب ! ! !

فما هو هذا الحجاب بعد ما سمعنا ما قالوا ؟

هو دخول القلب إلى الظلمات ...

ومتى دخل القلب إلى الظلمات ... حجب عن مقامات النور ...

أي كان هناك سد منيع بينه وبين كل ما يصدر عن مقامات النور ...

لماذا يحدث هذا ؟ !

هل تعرف التليفيزيون والراديو . . .

ان قلبك جهاز رقيق . . . فيه قوانين علية كهذه الأجهزة . . .
بل هى أعلى ! !

فكما أن اذاعات اللاسلكى موجات مختلفة . . . وأن الراديو
لا يلتقط الا ما كان الجهاز مفتوحاً عليه من الموجات . . .

ولا شأن له بسائر الموجات . . .

كذلك العطاء الربانى . . .

الصفات الإلهية تصدر موجاتها دائماً وأبدا . . .

الرحمة . . . تصدر موجات الرحمة

العلم . . . تصدر موجات العلم

وهكذا لا تتوقف عطاءات الله . . .

هنالك اصدار دائم . . .

والقلوب هى الأجهزة التى تلتقط هذه الإذاعات العليا . . .

فإذا كان قلبك متجهاً الى الله . . . أى فى مقامات النور . . .

التقط الموجات العليا الصادرة . . . من الله . . . وأذاعها . . .
فوراً . . .

والعكس صحيح ... إذا كان القلب مقفلا عن هذه الموجات ...

أى منقلباً إلى ما سوى الله . . . أى فى الظلمات . . .

استحال أن يلتقط شيئاً من هذه الموجات . . .

لأنه مغلق عنها . . . كما تغلق جهاز الراديو عن موجة معينة . . .

فرغم أن الجهاز هو هو . . . إلا أنه لا ينقل إليك شيئا عن تلك الموجة . . . بينما محطة الإذاعة ترسل إذاعتها باستمرار . . .

وإنما يستطيع القلب المغلق أن يذيع ... أن يلتقط الموجات السفلى . . . الموجات الكثيفة . . . الظلمانية . . .

وهى موجات الظلام . . . فى عالم الظلمات . . .

تجد ذلك مكنونا فى قوله تعالى :

« أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا . »

(سورة محمد ٢٤)

وقوله تعالى « أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا » حقيقة . . . رقيقة . . . عميقة . . .

يدركها أهل الصفاء . . .

هى بلغة اليوم . . . إغلاق الراديو . . . عن موجة ما . . .

وأما ما يؤكد لك . . . أن العطاء الربانى لا يتوقف أبداً . . .
وإنما القلوب هى التى تتجه إلى الله فتلتقط . . . أو تعرض عن الله
فلا تلتقط

فقوله تعالى :

« كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ ، مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ
عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً . »

(سورة الإسراء ٢٠)

إن أهل الحجاب . . . مساكين . . .

مساكين حقاً وصدقاً . . .

حرموا أنفسهم . . . من رحمـــــات لا تتوقف . . . وعطايا
لا تنفد ! !

عقوبات اوتوماتيكية ؟!

أو إن شئت سميته :

أوتوماتيك جزاء !!!

قال تعالى :

« وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ .

« وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ .

« حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ : يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ .

« وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ .

« أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ . » ؟!

(سورة الزخرف ٣٦ — ٤٠)

كل من يعش عن ذكر الرحمن . . .

كل من يغفل . . . كل من يتجه قلبه إلى غير الله . . .

ماذا يحدث ؟ !

تنزل العقوبة فوراً . . . أوتوماتيكياً . . .

« نُقَيِّضْ لهُ شَيْطَانًا » فوراً . . . بمجرد تحوله عنا . . .

« فهو له قَرِينٌ » ملازم . . . لا يغادر قلبه . . . إلا إذا انقلب القلب إلينا مرة أخرى . . .

كيف يحدث هذا فى ضوء النظرية ؟

القلب . . . إذا غفل . . . إذا اتجه إلى غير الله . . .

اتجه من النور فوراً . . . إلى الظلمات . . .

ومتى دخل الظلمات . . . فقد دخل إلى المناطق التى تنتشر فيها الشياطين . . .

فيلازم قلبه شيطان فوراً . . .

لأن قلبه أصبح مستعداً لالتقاط الموجات السفلية . . . الظلمانية . . .

وأصبح مغلقاً عن الموجات العليا . . . النورانية . . .

ومتى انغلق القلب عن الموجات العليا . . .

استحال أن يسمعها . . . أو يبصر صورها . . .

وهذا هو مكنون قوله : « أفأنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ » ؟ !

مستحيل أن تستطيع إسماع أهل الظلام . . . إذاعات النور . . . موجات النور . . .

لأنهم صم . . . لأن قلوبهم مغلقة عن هذه الموجات . . .

هنالك استحالة أن تلتقطها . . . مهما حاولت إسماعهم . . .

« أو تَهْدِي الْعُمْيَ » لأن قلوبهم مغلقة عن التقاط الصور التى تذاع من الموجات العليا . . .

فلا تستطيع إبصارها . . .

تماماً كما تغلق التليفيزيون عن القناة (٧) مثلا . . . فلا يرتسم على شاشته شيء من إذاعاتها . . . إلا إذا فتحته على هذه القناة . . .

كذلك قلوب هؤلاء مغلقة عن تلك الإذاعات العليا . . .

فستحيل أن تلتقطها . . . إلا إذا عادت . . . وانفتحت عليها ! ! !

وهذا التوضيح . . .

يحل لنا كثيراً من مفاهيم تلك النصوص التى نقرأها . . .
من كتاب الله تعالى . . .

ونمر بها . . . ولا نلتفت إلى حقائقها ! ! !

كقوله تعالى :

« وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ، وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ، أَن يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ، وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ، حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ .

« وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . »

(سورة الأنعام ٢٥ و ٢٦)

« ومنهم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ » هناك من أهل الظلام . . .
من يستمع استماعاً ظاهريا الى الوحى . . . والى رسول الله . . .

« وَجَعَلْنَا على قلوبهم أَكِنَّةً » أغطية . . .

ما هي هذه الأغطية ؟

تحت شعاع النظرية . . .

أن هذه القلوب في الظلمات الشديدة . . . فهي محاطة بالظلمات من كل مكان . . .

هذه هي الأكنة . . . هي الأغطية العازلة . . .

« أن يَفْقَهُوهُ » أن يدركوا حقائق الوحي . . .

هناك استحالة أن يدركوها . . . ما داموا في الظلمات . . .

« وفي آذانهم وَقْراً » ثقلا . . . لأن القلوب مغلقة عن إذاعات الموجات العليا . . .

لا تلتقط إلا الباطل . . . إلا موجات الظلام . . . لأنها في مناطق الظلمات . . .

« وإن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ » مهما يروا من آيات الله . . . العجيبة . . . في كل شيء . . . »

« لا يُؤْمِنُوا بِها » لا يتجهوا بسببها إلى الله . . .

وإنما هي في نظرهم . . . مجرد مناظر لا تدل على الله في شيء !!!

إن عيونهم . . . مغلقة عن الموجات العليا . . .

إنها تلتقط الموجات السفلية . . . موجات الظلمات . . .

« يقولُ الذينَ كَفَرُوا » أهل الظلام . . . يقولون دائماً . . . عن الوحى . . .

« إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوّلينَ » مجرد خرافات من خرافات السابقين ! ! !

« وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ » وهم دائماً . . . وأهل الظلام دائماً . . . ينهون عن الله . . .

عن الاتجاه إلى الله . . .

هذه دائماً نداءاتهم : إنها الطبيعة . . . ليس هناك إله . . . إنه مجرد خرافة . . .

« وَيَنْأوْنَ عَنْهُ » وهم دائماً . . . وباستمرار . . .

يبتعدون عن الله . . .

يزدادون إظلاماً وظلاما . . .

لأنهم يهوون إلى أسفل . . . إلى الهاوية . . .

«وإن يُهْلِكون إلا أنفسهم» وأى إهلاك هو أشد من تدهورهم في الظلمات . . . إلى قرار سحيق ؟ !

« وَمَا يَشْعُرُونَ » ولكنهم لا يشعرون بشيء من هذا . . .

لا يصدقون أن قلوباً من داخلهم تسجل عليهم كل ما كان منهم ! ! !

تجد ذلك كله مكنونا في قوله تعالى :

« وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ ، فِي الظُّلُمَاتِ ، مَن يَشَأْ اللَّهُ يُضْلِلْهُ ، وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . »

(سورة الأنعام ٣٩)

« والذين كذّبوا بآياتنا » وأهل الظلام

« صُمٌّ » لا يسمعون الحق . . . لا يستطيعون التقاط موجات النور . . . لأن قلوبهم مغلقة عنها

« وبُكْمٌ » لا يستطيعون النطق بالحق . . . لأن اللسان ترجمان القلب . . . والقلب في الظلمات . . . فهو لا يحرك اللسان إلا بالظلام . . . بالباطل ! ! !

لماذا كان هؤلاء صما وبكما ؟ !

لسبب واحد مكنون فى قوله تعالى « فى الظُّلُمَاتِ » ! ! !

لأن قلوبهم فى مناطق الظلمات . . .

« مَن يَشَأ اللهُ يُضْلِلْهُ » هناك ناموس إلهى أوتوماتيكى . . . يحقق ذلك أوتوماتيكيا . . .

كل من اتجه إلى شيء سوانا . . . دخل الظلمات فوراً . . .

« ومَن يَشَأ يَجْعَلْهُ عَلَى صراطٍ مستقيمٍ » وكل من اتجه إلينا . . . دخل مقامات النور فوراً . . .

ما معنى : وما تشاءون إلا أن يشاء الله ؟ !

يقول تعالى :

« إنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلًا .

« وَمَا تَشَاءُونَ إلاَّ أن يَشَاءَ اللهُ إنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

« يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِى رَحْمَتِهِ ، والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أليماً . »

(سورة الإنسان ٢٩ ـ ٣١).

اضطرب كثير من الناس فى فهم أمثال هذه الآيات . . .

فمن مسرف فى تأويلها ، قائل بأن الإنسان يفعل ما شاء ، ولا سلطان لشىء عليه ! ! !

ومن قائل : إن الإنسان لا مشيئة له على الإطلاق ، وإنما هو كريشة فى مهب الرياح . . .

وكلا القولين فيه شطط . . . بعيد عن الحق . . .

فأين الحق من هذا كله ؟ !

الحق هو أن نتدبر الآيات . . . من سورة الانسان . . .

لندرك حقيقة النفس البشرية . . . حقيقة كل إنسان . . .

ولعل سورة الانسان اختتمت بهذه الآيات . . .

تنبيها لكل إنسان إلى تلك الحقيقة العظمى . . . عن النفس البشرية .

يقول تعالى :

« إنَّ هذه تَذْكِرَةٌ » للقلوب . . .

إن هذا توجيه للعقول . . .

إن هذا ضوء . . . إشعاع . . . نرسله . . . ليكشف لكم الحقائق . . . من نفوسكم كشفا باهراً . . .

« فَمَن شَاءَ » فمن شاء منكم . . . أيها الناس . . .

« اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا » بادر إلى الاتجاه إلى ربه . . .

بادر إلى الخروج من الظلمات والدخول فى النور . . .

وهذا هو معنى قوله تعالى :

« وَقُل : رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ . . . . »

(سورة الإسراء ٨٠)

ومُدْخل الصدق . . . هو الدخول إلى مقامات النور . . .

ومُخْرج الصدق . . . هو الخروج من الظلمات إلى النور . . .

حتى هنا والقضية واضحة . . .

دعوة عامة . . . إلى البشر كافة . . . ذكوراً أو أناثا . . . إلى التوجه إلى الله . . . إلى النور . . .

ثم يرسل الله تعالى . . . إشعاعا . . . باهراً . . . قاهراً . . .

ظاهراً ... يكشف حقيقة ... من أعظم ... وأكبر ... وأخطر ... حقائق النفس البشرية ... فيقول :

«وما تشاءونَ إلا أن يَشاءَ اللهُ» وما تستطيعون أن يكون لكم مشيئة ... إلا أن يشاء الله لكم ...

إلا أن يأذن الله لكم فى تلك المشيئة ...

وبلغة اليوم : إلا أن تأخذوا تصريحا منا بأن تكون لكم مشيئة حرة ... بأن يكون لكم حق الاختيار الحر ...

ما معنى هذا الكلام العجيب ؟ !

معناه ... أن الله تعالى خلق كائناً عجيباً ... اسمه الانسان ...

إنساناً لم يكن من قبل شيئاً ... ثم منحه نعمة الوجود ... ليختبره ...

ولذلك افتتح الله تعالى هذه السورة ... سورة الانسان ... بقوله :

« هَلْ أتَى عَلَى الإنسانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً ».

« إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً .

« إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً . »

(سورة الإنسان ١ ــ ٣)

خلقناه كذلك . . . منحناه نعمة الوجود . . .

لسبب واحد . . . « نَبْتَلِيهِ » نختبره . . .

منحنا كل إنسان إرادة حرة مائة فى المائة . . .

منحناه مشيئة حرة . . .

أذنَّا نحن الله لكل إنسان أن يكون ذا إرادة . . . وذا مشيئة حرة . . .

لنحاسبه بعد ذلك . . . لنختبره . . . بعد ذلك . . .

وهذا هو مكنون قوله تعالى :

« وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ »

أى لولا أنَّا نحن الله شئنا ذلك التركيب المعين للانسان . . .

لولا أننا شئنا أن يكون الانسان ذا إرادة حرة . . . لما استطاع

الانسان أن تكون له مشيئة . . . تستطيع الاختيار . . . كيف يشاء . . .

فمشيئة الانسان . . . بمشيئة الله . . . للانسان أن تكون له مشيئة . . .

وهذا هو معنى « بِإِذْنِ اللهِ » أى بتصريح الله . . . بأن أذن الله لكل إنسان أن تكون له مشيئة حرة . . .

وهكذا تحت إشعاع النظرية العجيبة . . . تتلألأ حقيقة من أعمق وأدق وأرق وأشق . . . الحقائق البشرية على الاطلاق . . .

إن كل إنسان . . . ولد على الفطرة . . . أى صالحاً لهذا ولذاك . . .

للاتجاه إلى الله . . . أو إلى غير الله . . .

وكل إنسان . . . أعطاه الله إرادة حرة . . . مشيئة حرة . . . مائة فى المائة . . .

وكل إنسان يشاء ما يشاء . . . إما شاكراً . . . وإما كفورا . . .

إما إلى النور . . . وإما إلى الظلمات . . .

لأن الله تعالى شاء له ذلك . . . سمح له بذلك . . .

لتكون هناك قصة الحياة البشرية . . . الرائعة . . . العجيبة . . .

« نَبْتَلِيهِ » نختبر الانسان . . .

نختبر كل إنسان . . .

هل يتجه إلينا . . . أم إلى غيرنا . . .

فإن اتجه قلبه إلينا . . .

أعطيناه عطايا مقامات النور فوراً . . . فى الدنيا . . .

وأعددنا له ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . . . فى الآخرة . . .

وإن اتجه إلى غيرنا . . .

عذبناه عذاب الظلمات فوراً . . . فى الدنيا . . .

فوق ما أعددنا له فى الآخرة . . . عذاباً أليما . . .

ما معنى : وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ! ؟

قالوا : يا رسول الله ، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟

فأنزل الله تعالى :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ، أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ ، إِذَا دَعَانِ ، فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى ، وَلْيُؤْمِنُوا بِى ، لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ . »

(سورة البقرة ١٨٦)

عجائبها عجبا ! ! !

وغرائبها أغرب من الخيال ! ! !

أوْقِد الكشاف . . . كشاف النظرية . . . تتلألأ . . . تحت عينى قلبك فوراً . . .

« وإذا سألكَ عِبادى عَنّى » إذا أحبوا أن يعرفونى ، ويعرفوا : كيف الاتصال بى . . .

« فإنّى قريبٌ » فإنى أنا الله . . . قريب . . . منهم أجمعين . . . قرباً لا يخطر على قلب بشر . . .

جميع الأسماء . . . تصدر موجاتها . . . فى جميع الوجود . . . دائماً وأبدا . . . بلا توقف . . .

وإنما القلوب هى المقفلة . . .

فمن فتح قلبه ... فى اتجاهنا ... وجدنى فوراً ... أوتوماتيكياً ...

« أُجيبُ » فوراً ...

« دَعْوَةَ الدَّاعِ » كل قلب دعانى ... كل قلب اتجه إلىَّ ...

« إذا دَعَانِ » إذا اتجه إلى ... وحدى ... ولم يشرك بى شيئا ...

« فليستجيبُوا لِى » فليتجهوا إلىَّ بقلوبهم ...

أجيبهم ... فوراً ...

كل قلب خرج من ظلماته ... واتجه إلىَّ ... أدخله فوراً إلى نورى ...

أخرجه من ظلماته ... إلى النور ...

وهذه هى الاستجابة ... فى حقيقتها ... ومكنونها ... وعجائبها ! ! !

فإذا سمعت نصاً يقول : الدعاء مخ العبادة ...

فاعلم أن ذلك حقا وصدقا ...

لأن الدعاء . . . الحق . . . المستجاب . . . هو أن يتجه القلب اتجاها حقيقيا . . . إلى الله . . .

ومتى حدث ذلك . . . وقعت الاستجابة فوراً . . .

والاستجابة هنا حتمية . . . وفورية . . . وأوتوماتيكية . . .

تدرى ما هى ؟ !

هى إخراجك فوراً من الظلمات التى كنت فيها . . . إلى مقامات النور . . .

فإن كنت فى مقامات النور أصلا . . . ودعوته . . . وقعت الاستجابة فوراً . . .

رفعك فى درجات النور . . . درجات أخرى . . .

وإن كنت فى علاليها . . . رفعك فوراً . . . إلى أعلى علاليها . . .

وهكذا . . . أمراً عجبا ! ! !

وهكذا . . . حين أوقدنا كشافها . . . اشتعلت أنوارها . . .

أنوار النظرية . . . بإذن ربها . . .

فأضاءت . . لنا . فاستخرجت حقائق الدعاء . . . استخراجاً عجباً ! ! !

فالذين يحارون فى فهم قوله تعالى : « ... ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ... »

(سورة غافر ٦٠)

إذا تدبروها ... تحت إشعاعاتها ... كان معناها ...

اتجهوا بقلوبكم إلىّ ... أنا وحدى ... أستجب لكم ... حتما ... وفوراً ... وأتوماتيكيا ...

أى : اتجهوا بقلوبكم إلينا ... دون إشراك شىء معنا .. أخرجكم من الظلمات إلى النور ... فوراً ... وحتما ...

يا عجبا ... ثم يا عجبا ! ! !

إن عجائب قدرة ربى سبحانه تتلألأ تحت إشعاعاتها ... كأنما هى بديهيات بسيطة ...

وقد كانت من قبل أمراً عويصا ! ! !

افتح جهازك ؟ !

فالعطاء الربانى ... يرسل موجات عطاياه ... وهداياه ... أزلا وأبدا ...

لا يتوقف لحظة . . . ولا يتصور أن يتوقف . . .

ولا ينفد . . . ولا يتصور أن ينفد . . .

وإنما هي القلوب . . .

تلك الأجهزة العجيبة . . .

من فتحها . . . من أدار مفتاحها . . . نحو الإذاعات الإلهية . . .

التقطت فوراً . . . الموجات العليا . . . ذات الذبذبات العليا. . . « وله المثل الأعلى » . . .

وتلك هي الاستجابة . . . في حقيقتها . . .

أي : افتحوا قلوبكم . . . على إرسالنا . . . يتدفق فوراً إلى أجهزتكم . . .

فما عليك إلا أن تفتح جهازك . . .

تجده تجاهك . . . فوراً . . .

أقرب إليك مما تتصور . . .

هل رأيت جهاز الراديو ؟ !

إن محطات الإذاعات العالمية . . . كلما ترسل إذاعاتها لاتتوقف . . .

ورغم أن موجات إذاعاتها منتشرة فى الفضاء ... فإنك لا تشعر بها ... ولا تستطيع التقاطها إلا إذا فتحت جهاز الراديو عليها ...

وعلى قدر إدارتك للمفتاح ... تسمع من تلك الإذاعات المختلفة ...

كذلك موجات العطاء الالهى ... منتشرة أزلا وأبدا ... فى الوجود ...

فإن فتحت قلبك ... تدفقت فورا ... إليه ...

وإن أقفلته ... فلا شأن لك بها ... فأنت محروم منها تماماً ...

رغم أنها تحيطك فى كل زمان ومكان ...

فالذين أرادوه ... يجدوه ... فوراً ...

« ادعُونِي أستَجِبْ لكم » ...

هذا ناموس إلهى ... لا يتخلف أبدا ...

وإن حدث وتخلف ... فاعلم أن بالجهاز عُطلا أو خللا ...

فعليك إصلاحه فوراً ... « فليستجيبُوا لِي » ...

« ولْيُؤْمِنوا بِي » وليتجهوا إلىّ بقلوبهم . . . من غير ما التفات أو إشراك . . .

« لعلهم يرشدون » لعلهم يدخلون مقامات النور . . إذا أحسنوا التوجه إلينا . . .

وتجد ذلك كله مكنوناً فى قوله سبحانه :

« فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ . . . »

(سورة غافر ٦٥)

« فادْعُوهُ » فاتجهوا بقلوبكم إليه

« مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين » متوجهين إليه تعالى وحده . . .

والعكس صحيح . . .

« . . . إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ . »

(سورة غافر ٦٠)

إن الذين يستكبرون عن عبادتى ... عن التوجه إلىّ بقلوبهم . . .

« سيدخلون » بمجرد استكبار قلوبهم . . . بمجرد انقلابها عنا . . . واتجاهها إلى ما سوانا . . . سيدخلون حتما

« جهنم » فورا . . . أوتوماتيكيا . . .

جهنم الحرمان . . . جهنم الظلمات . . .

فى هذه الحياة الدنيا . . . ثم يدخلون جهنم الكبرى . . . يوم القيامة . . .

عجائب النظرية . . . تتلألأ . . .
فى آية أخرى ؟!

قال تعالى :

« إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ
« نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
« وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيماً . »

(سورة النساء ٣١)

هنالك شرط . . . يترتب عليه عطاءان . . . حتميان . . . فوراً . . .

الشرط هو « إن تجتنبوا » إن تبتعدوا . . .

« كبائر ما تُنهون عنه » كبائر الذنوب . . . مثل الشرك بالله . . . و النفس قتل . . . والزنا . . . والسرقة . . . وشرب الخمر . . .

ما معنى اجتناب الكبائر ؟ !

معناه أن الإنسان لم يوغل فى الظلمات . . .

باعتبار أن الكبائر . . . تهوى بصاحبها إلى أسفل سافلين . . . فى الظلمات . . .

معناه أنه إنسان يتذبذب بين الظلام والنور . . . لم يتدهور تدهوراً شديدا . . .

إنسان قريب جداً من مقامات النور . . . « نكفر عنكم سيئاتكم » نسقط عنكم جميع سيئاتكم . . .

كيف يحدث هذا أوتوماتيكياً ؟ !

« ونُدخلكُم » نوراً . . .

« مُدخلا كريمًا » ندخلكم مقامات النور . . . وأى مدخل هو أكرم من هذا المدخل ؟ !

فتأمل . . . وتعجب ! ! !

أنوار . . . النظرية . . .

تتلألأ فى . . . « محمد » ؟!

فى سورة « مُحَمَّد » من أعلى . . . وأشمل كتاب . . . أنزله الله تعالى . . .

تجد كثيرا من أنوار النظرية . . . يكاد يقول : انظرونى . . .

استمع :

« الذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أعمالَهُمْ .

« وَالذينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الحقُّ مِن رَبِّهِم كَفَّرَ عَنهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ

« ذلِكَ بِأَنَّ الذينَ كفَرُوا اتبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الذينَ آمنُوا

اتبعُوا الحقَ مِن ربِّهم كذلِكَ يَضربُ اللهُ لِلناس أمثالهمْ . »

(سورة محمد ١ — ٣)

« الذين كفروا » الذين انقلبت قلوبهم عنا . . . واتجهوا إلى الظلمات . . .

« وصَدُّوا عن سبيل اللهِ » وصدوا أنفسهم . . .

صدوا قلوبهم . . . وقلوب الغير . . . عن دخول مقامات النور . . . التى هى سبيل الله . . .

« أضَلَّ أعمالَهمْ » تحولت أعمالهم كلها إلى ظلمـــات . . . لا نور فيها . . .

لأنها صادرة عن قلوب فى الظلمات . . . لا تؤمن بالله . . . لا تتجه إليه . . .

والعكس صحيح . . .

« والذين آمنوا » والذين اتجهت قلوبهم إلينا

« وعملوا الصالحات » يريدون بها وجه الله . . . يتجهون بهـا إلينا . . .

« وآمنوا بما نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّد » وصدقوا بما نزل تباعاً على رسولنا محمد . . . قمة أهل النور . . .

« وهو الحقُّ مِن ربهم » وهو النور المنزل إليهم من ربهم

« كفَّر عنهم سيئاتهم » أدخل قلوبهم فوراً إلى النور . . . وأخرجها من الظلمات . . .

« وأصلح بالهم » حالهم . . . بأن يرفعهم درجات فى مقامات النور . . .

« ذلك » يحدث هذا أوتوماتيسكياً . . .

« بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل » بأن أهل الظلام . . . اتجهت قلوبهم إلى ما سوانا . . . وكل ما خلا الله باطل . . .

« وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق » اتبعوا النور . . .

تعساً لهم ! ؟

ثم يقول :

« والذينَ كفرُوا فتعساً لهُمْ وَأضَلَّ أعمالهُمْ .

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعمالَهُمْ . »

(سورة محمد ٨ و ٩)

« والذين كفروا » وأهل الظلام

« فتعساً لهم » شقاءً شديداً لهم . . . حتما . . .

« وأضلّ أعمالهم » تتحول كلها إلى ظلمات . . .

« ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله » كرهت قلوبهم النور . . .

« فأحبط أعمالهم » فأبطل جميع أعمالهم لأنها ظلمات !!!

الله مولى أهل النور . . .
وأهل الظلام لا مولى لهم ؟!

ومن أعلى . . . وأجل . . . وأحـــلى . . . آياتها . . . قوله تعالى :

« ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الكافرين لا مَوْلَى لَهُمْ . »

(سورة محمد ١١)

« ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا » هو سبحانه يتولى أمور الذين اتجهت قلوبهم إليه . . .

يدخلون مقامات النور . . .

ومتى دخلوها . . . كانوا فى الرعاية . . . والعناية . . . والألطاف . . . والرحمات . . .

ووجدوا فى مقاماتها جميعاً . . . الملائكة . . . تتنزل عليهم . . . بما شاء سبحانه . . .

« يُنَزِّلُ الملائِكةَ بالرُّوحِ من أمرِهِ عَلَى مَن يشاءُ من عبادِهِ أن أنذرُوا أنهُ لَا إله إلّا أنا فاتقُونِ . »

(سورة النحل ٢)

ومتى كان القلب . . . فى مقامات النور . . .

توجه تلقائياً إلى الله فى كل شىء . . .

ومتى كان كذلك ازداد قرباً . . . وازداد نورا . . .

فازداد أنساً . . . فازداد سعادة . . .

والعكس صحيح . . .

« وأن الكافرين لا مولى لهم » وأن أهل الظلام . . . الذين

توجهت قلوبهم إلى غيرنا . . . لا مولى لهم . . .

لا يتولى الله تعالى توجيههم . . .

ومن لم يتوله الله . . . فهو فى الحقيقة لا مولى له . . .

تتلقفهم الشياطين . . . المنتشرة فى جميع دركات الظلمات . . .

يزيدوهم ضلالا على ضلالهم . . .

فيزدادوا إظلاماً على ظلامهم . . .

وكلما ازدادوا ظلاما . . . ازدادوا بعدا . . .

وكلما ازدادوا بعدا . . . ازدادوا شقاء . . .

تماماً كما قال تعالى « فتعساً لهم » ! ! !

وكما قال :

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ . »

(سورة محمد ٣٤)

لماذا هذا ؟ !

لأن قلوبهم منقلبة عن ربها . . . متجهة إلى ما سواه . . .

« وماتوا وهم كفار » وقلوبهم مقفلة تماماً . . . منقلبة تماماً

« فلن يغفر الله لهم » وكيف يغفر الله لقلب لا يريده ؟ !

* * *

تلك هى النظرية الكبرى « من الظلمات إلى النور »

أسجلها . . . وأذيعها . . . على البشر جميعاً . . .

أداءً لحق الشكر . . . أن فتح الله لى من عجائبها عَجَبا ! ! !

وإن من شكر النعمة . . . أن تؤدى حق الناس فيها . . .

وحق الناس فى هذه . . . أن يعلموها . . .

أما حق الله . . .

أن أعطانى هذا الذى أعطى . . .

فهو أكبر . . . من أن أطيقه . . . أو أستطيعه . . .

وكيف أشكره . . . والشكر من آلائه تعالى ؟ ! !

تم

خاتمة

« ولَوْ أنَّما فى الأرضِ ، مِن شجرةٍ أقلامٌ ، والبحرُ يَمُدُّهُ مِن بعدِهِ سبعةُ أبْحُرٍ ، مَا نَفِدَتْ كلماتُ اللهِ . . . »

ما من كلمة . . . من كلام الله . . . فى ذلك الكتاب العزيز . . . كتاب الله المجيد . . .

إلا وهى بحر عميق . . . لا ساحل له . . . من العلوم . . .

ولقد تلألأت لى . . . تلك الحقيقة . . . أكثر فأكثر . . . عندما فرغت من تأليف هذا الكتاب !

أحسست أن الكتاب كله . . . الذى انبثق . . . من كلمة من كلمات الله تعالى . . . « اللهُ وَلِيُّ الذين آمنوا ، يُخْرِجهم مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوتُ ، يخرجُونَهُم مِنَ النورِ إلى الظُّلُماتِ » . . .

لا يعدو أن يكون قطرة ... من بحر ... ما له من قرار !!!

وأن هذه النظرية ... كى تأخذ حقها ... من التفصيل ... والتسجيل ... تحتاج إلى أضعاف أضعاف ... هذا الكتاب !!!

بأن الحقائق الكبرى ... ترد فى كتاب الله الكريم ... مركزة تركيزاً عظيما ...

فإذا ما انفجرت معانيها ... ثم انشطرت ... ثم انتثرت ...

حدث مثل ما يحدث للذرة إذا حطموها ...

فانطلقت من جسيمها الذى لا يُرى ... طاقات هائلة لا حدود لها !!!

بل ... كلام الله ... أكبر طاقات ... وأكبر تفجيراً !!!

فلا تحسبنَّ أن ما بين يديك ... هو تمام نظرية ... « من الظلمات النور » ...

وإنما هو مجرد . . . ذرة . . . من إشعاعاتها . . .

أما ما فيها . . . من أنوار . . . مكنونة . . . فهو وراء العقول ! ! !

فاللهم . . . إني أحمدك . . . عدد خلقك . . . ورضا نفسك . . . وزِنة عرشك . . . ومداد كلماتك . . . ؟

محمود شلبي

فهـــرس

تصويب

صفحة	خطـأ	صواب
٥٧	فأما من أوتى كتابه بيمنه	بيمينه
١٩٩	(سورة النساء ٣١)	(سورة الأحزاب ٣١)

